السحاق والبغاء
في الشريعة والفلسفة

بحث علمي

(طبعة ثانية معدّلة ومنقّحة)

د. عالية محمد شعيب

دكتوراه فلسفة الأخلاق

الإهداء

إلى كل من آمن برسالتي الأخلاقية الإصلاحية والتوعوية والنهضوية

اتجاه الفرد والمجتمع

إلى كل من ساندني بشخصه أو بصوته أو بقلبه

في كل القضايا التي رفعت عليّ ضد هذا الكتاب

وإلى كل من فرِح لبراءتي في كل واحدة من تلك القضايا

ولله الحمد

المحتويات

مقدمة:

الموضوع، المنهج، المصطلحات 11

1) **الموضوع:**

الجسد (يتحرك، يتكلم، يفعل، يتحقق) 13

2) **المنهج:** منهج أخلاقي تحليلي

منهج أخلاقي اجتماعي 21

3) **لغة الجسد:**

خطاب الجسد، شرعي إيجابي غير شرعي سلبي، ميول سحاقية 22

القسم الأوّل: السحاق

الفصل الأوّل: المصطلح

في الشريعة الإسلامية. في اللغة. في القانون 41

الفصل الثاني: المشكلة

الانحراف الجنسي، صفات، العادة السرية، النماذج 61

الفصل الثالث: الأسباب والآثار

أولا: الأسباب

الأسرية التربوية، المدرسية التربوية، الإعلامية، الاجتماعية 103

ثانيا: الآثار 108

الفصل الرابع: استبيان

مقدمة، دوافع الاستبيان وتوزيع الأسئلة، الأسئلة، الأجوبة، تحليل 113

خاتمة 126

القسم الثاني: البغاء

مقدمة 129

الفصل الأوّل: المصطلح

في الشريعة الإسلامية. في اللغة 133

الفصل الثاني: البغاء في القانون الكويتي 147

الفصل الثالث: نسب وإحصائيات، نماذج وأمثلة 153

الفصل الرابع: الأسباب 181

الفصل الخامس: النتائج والآثار 201

الفصل السادس: استبيان 215

الفصل السابع: البغاء المقنّع 227

خاتمة 235

مراجع 241

سيرة ذاتية 245

مقدمة

1 – الموضوع

2 – المنهج

3 – لغة الجسد

مقدمة

1 – الموضوع: الجسد

هل بإمكاني التواجد دون جسدي. هل يمكن أن أظهر دونه، أو أن أتفاعل وأتحرك وأتحقق وأبدع دون أن أكون داخل هذا القالب المادي المسمى بجسدي. الجسد مهيمن وحاضر، إنه حقيقي ومتجسّد. بل إنه يفرض حضوره عليّ ويلاحقني. "لست بحاجة لأن أبحث عنه لأنه معي"[1].

إن جسمي لا يفارقني لأن به/ معه أكون مرئيا وحاضرا وظاهرا ومحددا. يتمكن الناس حينها من رؤيتي والتفاعل والتواصل معي. "إن جسمي لا يبارحني.. إني أدركه بصفة مستمرة"[2]. بجسدي أتحرك أتحسس الوجود بكل صخبه وتفاصيله. إن تحقق الفرد من خلال جسمانيته يجعل له موقعا بين الناس، أما الموضوعات والأشياء المحيطة بالجسد فهي ليست إلا كيانات هامشية لأن جسمانيتها مختلفة. "إن جميع الكائنات وبالتالي جميع الأجناس يسري بعضها في بعض، فكل حيوان هو إنسان قلّ ذلك أو كثر، وكل معدن هو إلى حد ما نبات، وكل نبات هو إلى حد ما

---

(1) الشاروني، د.حبيب، فكرة الجسم في الفلسفة الوجودية، ص49

(2) المرجع السابق، ص 47

حيوان. وليس في الطبيعة شيء معين على وجه الدقة.. فكل شيء هو إلى حد ما ماء أو هواء أو نار، وهو إلى حد ما من أصل أو من آخر "[1].

إن الأجسام الأخرى المحيطة بي قد تغيب وقد تحضر من خلال وعيي وإدراكي بها، فالطائر خارج نافذتي موجود لأني أراه وأدركه، إنه يتحقق بإدراكي له وتواصلي معه وعلمي به. ولكن دون وعيي وإدراكي له سينتقص وجوده، سيكون مجرد شيء.. موضوع. "الموضوعات الخارجية ليست موضوعات إلا من حيث أبعادها وبالتالي اختفاؤها من مجال رؤيتي "[2].

الجسد هو الغلاف الذي أصبح مرئيا من خلاله. أتحرك بجسدي، أقول وأفعل به ومن خلاله، كما أحس وأشعر وأتفاعل وأعمل وأبدع وأنجز بجسدي. إنه القشرة التي تلازمني، أرتديه كرداء أو معطف أو أحيانا كأنه جلدي. لكن الجسد ليس ساكنا أو صامتا، إنه:

1 – يتحرك

2 – يتكلم

3 – يفعل

4 – يتحقق

---

(1) ديدرو، حلم دالامبير

(2) الشاروني، المرجع السابق، ص 47

الجسد يتحرك حين يمارس حياته اليومية وحين يعبر عن حياته كموضوع يعيش. يتحرك حتى يظهر ويصبح مرئيا وهكذا يسير ينعطف يقفز يعطس يهبط السلم ويركب السيارة. إنه يتحرك من خلال أي فعل يومي عادي لا يميز الإنسان. نقول: هذا جسد يتحرك وكلنا أجساد تتحرك. الحركة فعل جمعي لا يميز أحدا، "الإنسان" يتحرك لكنه بحاجة لخطوة أعمق وأكثر فاعلية حتى يصبح "فردا"، فقط حين يحضر العقل في الحركة يصبح الإنسان فردا.

أما التكلم فوسيلة إلى التعبير والحوار والشرح والقول والبوح والاعتراف، نحن نتكلم مع رجل الشارع وصاحب المتجر والشرطي والصديق والأخت وزملاء العمل. إذن، في 1 – يتحرك و2 – يتكلم، الجسد يعبر عن صفته الظاهرية، ويعتبر الجسد قشرة في هاتين الحالتين ومجرد غلاف، أما صاحبه أو حامله فهو إنسان وليس فردا، مجرد إنسان بين القطيع – العامة – يحمل اسما ورقما. إنه بحاجة لبذل جهد عقلي في اكتشاف وممارسة العمليات العقلية التي يمتلكها كإنسان عاقل – مثل ممارسة الوعي والتأمل واليقظة والتفكير والفهم والنقد والتحليل وإطلاق حكم – حتى يرتقي عن القطيع ويعلو عنهم بجهده العقلي ويتميز فيصبح فردا. لكنه بحاجة أيضا إلى بناء الشخصية الأخلاقية من خلال تأسيس الوعي بمختلف صور نشاطه أكانت دينية أم أخلاقية، وبذلك يصل إلى 3 – يفعل و4 – يتحقق.

لكن ما الفرق بين 1 – يتحرك و2 – يتكلم وبين 3 – يفعل، في يتحرك/يتكلم يمارس الإنسان هويته الحياتية الاعتيادية التي يحتاجها في أداء النشاط اليومي، لكنه حين يفعل فهو يحدد موقفه من خلال حركة أو كلمة. يأتي هذا الموقف بعد دراسة عقلية يبني عليها حكمه في موقف تجاه إنسان أو قضية. إنه يفعل ليؤكد مروره بكل العمليات العقلية الضرورية للتوصل إلى الحكم الصائب، وللدلالة على ذلك لنتأمل العبارات التالية:

المسألة الأولى:

أمشي بدون وجهة محددة: أتحرك

أسبح باتجاه أخي الغريق لأنقذه: أفعل

المسألة الثانية:

أتصفح الصحيفة لأبدد وقت الفراغ: أتحرك

أقرأ الصحيفة لأفهم ما تسبب بكارثة حطام الطائرة: أفعل

المسألة الثالثة:

أتكلم مع أخي الصغير بشأن حادث وقع لي اليوم: أتكلم

أتكلم مع أخي الصغير لأعلمه ما الذي تعلمته من الحادث الذي وقع لي اليوم: أفعل.

تحليل:

في المسألة الأولى/أتحرك، نجد أن فعل الحركة لا يتعدى ممارسة روتينية سطحية للجسد، يتم فيها استخدامه كآلة أو وسيلة للسير دون هدف أو خطة، أي تجاهل فاعلية العقل تماما وتجميدها. ثم في المسألة نفسها/ أفعل، يتم تفعيل دور العقل واستخدامه بتوظيف الحركة أخلاقيا، أي استخدام الجسد كوسيلة لتحقيق هدف أخلاقي هو إنقاذ غريق. هنا نجد استخدام الطاقة العقلية في إيجاد قيمة عليا للجسد كآلة ينتج عنها تحقيق هدف أخلاقي. أصبح هناك معنى للحركة بالهدف الأخلاقي فأصبحت فعلا.

في المسألة الثانية/أتحرك، الحركة مجرد تصفح للصحيفة من أجل تمرير وقت الفراغ دون قراءة أو تركيز أو هدف عقلي أو أخلاقي من الحركة. ثم في المسألة نفسها/أفعل، دخل عنصر الاهتمام والفضول وبهما تم تشغيل الطاقة العقلية بالقراءة المركزة والمتابعة والربط والتحليل والتفكير بهدف الفهم. هنا نجد فردا يحترم عقله، فحاجته ورغبته للفهم تجعله يرتقي من كونه إنسانا على هامش الحياة لا يهتم بأحداث الكون أو الكوارث أو غيرها.

المسألة الثالثة/أتكلم، نجد من جديد استخداما سطحيا غير هادف للجسد مع تجميد القدرة العقلية وغياب النهج الأخلاقي في الطرح. فالأخ الأكبر يخبر الأخ الأصغر عن حادث وقع له اليوم دون أدنى جهد في تحليل الحادث سلبا أو إيجابا والاستفادة من التجربة. أما في المسألة نفسها/أفعل، نجد الموقف نفسه مع التعبئة

الأخلاقية وتفعيل العقل باستخلاص الفائدة والنتيجة من الحادث وتعليمها للأخ الأصغر حتى تفيده في حياته.

إذن نجد أن الجسد يرتقي مع 3 – يفعل، إنه يكتسب معنى من خلال امتلاك الوعي الأخلاقي وتحديد أهدافه ومنهجه في الحياة. أما مع 4 – يتحقق، فنجد التطور على المستوى الأخلاقي نادرا وخاصا، فالجسد هنا يتحول يتبدل يتطور أخلاقيا مكتسبا مرونة وصيرورة إبداعية خلاقة تمكنه من تحقيق معنى لذاته وللفرد الذي يرتديه، إنهما يصيران واحدا من أجل تجسيد الحقيقة، بل إن الجسد مع 4 – يتحقق يصبح هو الحقيقة.

الفرق بين 3 – يفعل و4 – يتحقق هو أن في 3 – يفعل، أي أن الفرد مر بعمليات عقلية عدة بهدف الوصول إلى الحكم الصائب في سبيل خدمة هدف خاص مثل إنقاذ أخ أو زميل أو تعليم قريب حكمة ما. مع 3 – يفعل لا يزال الفرد يدور في فلك الذاتية ولم يتعلم بعد كيف يتجاوزها من أجل فعل الخير لآخر غريب لا يعرفه ولا تربطه به قرابة. لكنه مع 4 – يتحقق هو يذوب كفرد من أجل الحقيقة التي تعبر هنا عن فعل الخير الأعلى الأرسطي الذي ينقسم على الناس جميعا سواسية دون تمييز. إنه يمر في كل العمليات العقلية الممكنة من أجل قضية عامة أو مبدأ بعيدا عن المصلحة والمنفعة الخاصة وهذا هو التحدي الأخلاقي الأعلى. مع 4 – يتحقق يسخر الفرد جسده لخدمة الحقيقة العليا بعيدا عن أي مصلحة شخصية. مثلا:

المسألة الأولى:

أسرع باتجاه أخي الغريق لأنقذه: أفعل

أسرع باتجاه الغريق المجهول لأنقذه: أتحقق

المسألة الثانية:

نتيجة لتأنيب الضمير أقرر الاعتراف لصديق بخطئي في حقه: أفعل.

نتيجة لتأنيب الضمير أقرر الاعتراف لشخص ما بخطئي في حقه: أتحقق.

إن المرأة في لحظة ما/موقف ما من حياتها تدرك سلبية جسدها وانتهاكه بواسطة بعض الوسائل/ الأدوات الاجتماعية التي وضعها وسنّها: رجال، الأسرة، العادات والتقاليد، الإرث الثقافي المتراكم حول المرأة وهامشيتها ودورها الثانوي. لذلك فإنها تتمرد مستخدمة جسدها سواء بالانتقام أو بالمتعة المحرمة أو الخيانة أو غيرها. ولا تدرك إلا متأخرة أنها لن تجلب لنفسها ولذاتها ولجسدها سوى المزيد من المذلة والانكسار والهزيمة.

لننظر الآن إلى الجسد بصورة مختلفة، فنسأل سؤالين مختلفين تماما:

1 – ماهو الجسد؟

2 – من هو الجسد؟

(ماهو) صيغة عامة وشاملة أما (من هو) فتعبّر عن صيغة خاصة ودقيقة. (ما) تبحث في الوجود من حيث علاقاته بما حوله من كيانات، و(من) تبحث في علاقاته مع ما يحتويه من عوالم داخلية، ومايضمه من مميزات تخصه وحده.

إذا فشلت المرأة في التواصل مع جسدها فإنها تبقى في اطار (ماهو)، أي السلبية في التعامل مع الجسد بالنظر اليه كامتداد للإرث الثقافي ولفكرة الجسد الأنثوي في الذاكرة العربية. في هذه الحالة تقع المرأة تحت سوط المجتمع بما يحمله من عادات وتقاليد وإرث كامل عن الجسد كمركز للعيب والحرام والخطيئة والرذيلة. مصدّقة ومتقبّلة كل مايقال عنه دون نقاش أو سؤال حول صحة هذه الادعاءات ومصداقيتها العلمية أو الدينية أو الاجتماعية.

جانب آخر من سلبية (ماهو) تكمن في اعتبار وجود الجسد من أجل الآخر – الرجل – لخدمته وإمتاعه ورعايته. أي أن الجسد لايوجد كقيمة في ذاته، وكطاقة إبداعية وفعلية، لايوجد كمشروع في ذاته. إنه مجرد جسد ينحصر في إطار رغبات وطلبات وأوامر الآخر. إنه جسد معطّل إبداعيا ولا يتم تفعيله إلا بحضور الآخر. فإذا حضر الآخر حضر الجسد، وإذا غاب الآخر، غاب الجسد ولم تعد لديه قيمة، بل يكون في حالة انتظار لحين حضور الآخر.

أما إن استطاعت المرأة أن تتجاوز المعوقات التي تحجبها عن التواصل مع جسدها وفهمه تكون قد استطاعت أن تحقق علاقة (من

هو) مع جسدها. هنا نجد سمة إيجابية نتيجة لتحقق التواصل والتخاطب السليم مع الجسد. وذلك من خلال الحركة الفاعِلة، العمل، الإبداع والاختراع. "كل مشروع أشرع نحوه أو فيه لابد أن أحققه من خلال جسدي"[1]. إنه جسد فعال لا يعتمد على الآخر في وجوده. بل يتعامل مع الحركة كجوهر لوجوده وكنتيجة حتمية وضرورية لوجوده. أو كما عبّر ميرلو بونتي "يقذف نفسه فيها"[2].

المرأة في هذه العلاقة (من هو) مع جسدها، تكون قد اطلعت على رؤية المجتمع للجسد، ثم اطلعت على مضمون الثقافة الإسلامية (القرآن الكريم والحديث الشريف). وأصبحت مؤهّلة ثقافيا وفكريا لفهم جسدها في ظل هذه المعرفة، وصارت قادرة على التعامل مع جسدها بالصورة السليمة ككيان يحمل قيمة أخلاقية وجمالية وأخلاقية.

2 – المنهج:

منهجان 1 – أخلاقي تحليلي

2 – أخلاقي اجتماعي

استخدمت في هذه الدراسة أولا: المنهج الأخلاقي التحليلي في الفصول الأولى لكلا القسمين: (الفصل الأول في السحاق، والأول

---

(1) الشاروني، المرجع السابق، ص74

(2) المرجع السابق، ص 303

والثاني في موضوع البغاء). يبدأ المنهج بتحديد المصطلح ثم يتناوله بالتحليل من جوانب عدة: 1 – لغوية، بالاطلاع على معاني المصطلح في المعاجم اللغوية، 2 – دينية، باستخدام القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة كمبحث للنظر في معاني المصطلح دينيا ثم شروح وتفسير الآيات لدى المفسرين الأوائل، وأخيرا 2 – قانونية، بالنظر إلى المصطلح كما ورد في مواد القانون. ثانيا، تم استخدام المنهج الأخلاقي الاجتماعي في الفصول التالية من خلال تحديد المشكلة: السحاق/البغاء، وتتبع محتويات كل منهما. السحاق: وعلاقة العادة السرية بالموضوع، عرض النماذج والأمثلة، ثم بحث الأسباب المتعددة لظهور مشكلة السحاق في المجتمع الكويتي، والنتائج المترتبة عليها على مستويات عدة، أخيرا أسئلة وأجوبة استبيان تم توزيعه على مائة امرأة مع قراءة تحليلية للإجابات. البغاء، باستخدام المنهج نفسه بدأت بعرض النماذج والأمثلة، الأسباب والنتائج، وختاما أسئلة الاستبيان وأجوبتها وتحليلها في ضوء الموضوع الرئيسي.

3 – لغة الجسد

خطاب الجسد

عرفنا في الجزء الأول من هذه المقدمة الخاصة بالموضوع أن الجسد يتكلم في الحالة الثانية. لكنه هنا لا يتكلم لغة ومفردات منطوقة بل يتكلم باستخدام طاقته الحركية الحسية المادية، أي بلغة

جسدية خاصة بالسلوك الجنسي. يستخدم فيها أدوات كالفم واليد والعضو التناسلي للتعبير عن التجربة وبهدف الوصول إلى المتعة المرجوة. يعتبر هذا النمط من الكلام الأهم والأكثر تطورا وفاعلية بالنسبة إلى الجسد، لأنه من خلاله يضخ طاقته الجنسية إلى الخارج ويحصل على الإشباع أو النشوة، أيضا يتحقق الجسد عبر الفعل الجنسي ويكتسب معنى وهدفا. إنه يجدد طاقته ويملأ خزان الإشباع محققا الراحة النفسية والعقلية للفرد، وبذلك يستعد للعطاء والإنجاز والإبداع بشكل أفضل. جسد مشبع جنسيا على مستوى الأخذ والعطاء هو جسد مهيأ ومناسب للإبداع، والإبداع الذي يصدر من جسد مشبع له ميزة إيجابية تختلف مثلا عن صفة الإبداع الناتج عن جسد محبط أو مكبوت الرغبات أو محروم. يتم تشغيل الجسد من خلال الفعل الجنسي، فالجسد ينمو ويمتد ويتنفس ويتكلم من خلال الفعل الجنسي الذي يعيد الحياة والحيوية والنشاط إلى الجسد ويحقق فاعليته. جسد محروم جنسيا على مستوى العطاء والأخذ هو جسد معطل الحاجات والرغبات وبحاجة إلى مساحة يتحقق من خلالها عبر الفعل الجنسي.

للجسد لغة أسميها **فلسفة خطاب الجسد**. قواعد لغة الجسد هي الأطراف والأعضاء والأجهزة، أما مفرداته فهي اللمسات والحركات التي يقوم بها الجسد عبر الفعل الجنسي. ويتحقق معنى هذا الخطاب عبر الصور الإيحائية التي يرسلها وينفذها الجسد مما يعطينا وحدة الجملة.

هناك **ثلاث نظريات فلسفية** عامة لتفسير علاقة السلوك الجنسي بالهوية الجسدية ودور الفرد في المجتمع:

1 – النظرية الاجتماعية القائلة بشرعية السلوك الجنسي ضمن إطار الزواج والتي ترى ضرورة توجيهه لهدف الإنجاب.

2 – النظرية العاطفية التي تشترط اقتران السلوك الجنسي بالحب واستناده عليه. أي ضرورة وجود الرابط العاطفي الذي من شأنه تفعيل دور السلوك الجنسي ونجاحه في تحقيق الرضا والمتعة الجنسية لكلا الطرفين. يعتقد أصحاب هذه النظرية أنه حين يكون الدافع في السلوك الجنسي هو الحب يتعامل الفرد (المحب) مع الآخر (الحبيب) كقيمة في ذاته ويعمل على تزويده بالراحة والمتعة التي يحتاجها ويتمناها.

3 – النظرية التفسيرية التي تقول: إن مع وجود الحب أو غيابه يعتبر السلوك الجنسي نمطا لغويا يعبر عن بعض مشاعرنا واتجاهاتنا المهمة تجاه أنفسنا وتجاه الآخر الذي يشاركنا العلاقة. ولنا الملاحظات التالية على هذه النظرية:

أ – طالما أن السلوك الجنسي هنا يعبر عن مشاعرنا تجاه أنفسنا، إذن يدخل ضمنه ممارسة العادة السرية التي لا تتطلب الآخر. وسنعود لمناقشتها لاحقا في قسم منفصل.

ب – في حالة غياب الحب بين الفرد والآخر قد يعجز السلوك الجنسي عن التعبير عن أي شيء سوى الممارسة الجنسية نفسها بصفاتها.

ج – في حالة قيام السلوك الجنسي دون حب، فهذا يعني إمكانية تحول الآخر إلى آلة أو أداة تستخدم لإمتاع الفرد. أي تحول الآخر إلى موضوع أو شيء يستخدم لتزويد الفرد بالمتعة. وبذلك يكون الفعل الجنسي مجردا وخاليا من أي قيمة سوى ضخ المتعة للفرد أو تفريغ شحنة انفعالية أو جنسية. يرد أصحاب هذه النظرية مدافعين أنه في حالة وجود الحب يكون الفرد/المحب مقيدا بمشاعر وطلبات واستجابة الآخر/الحبيب، أما في الممارسة الجنسية من دون حب فإن الفرد يمتلك فضاء هائلا من الحرية.

شرعي إيجابي/غير شرعي سلبي

الفعل الجنسي بكل صوره يعبر عن خطاب أو نمط لغوي تعبيري يمارسه جسد مع جسد آخر لسبب أو هدف محدد سعيا إلى تحقيق حقيقة ما تعبر عن انفعال كالألم أو السعادة أو الحب أو استغلال أو انتقام مثلا. نجد أحيانا في ممارسة السلوك الجنسي بين الأزواج، حين تترك الممارسة الجنسية في صورة فعل الحب نفسه أثرا لألم أو أذى ما – في صورة أثر عض أو مص – لا

يفهمها الآخر الذي يحملها كصورة لأذى بل كتعبير انفعالي للحب. كما يحدث حين تكشف امرأة لصديقة أو أخت عن علامة كهذه دليلا على مدى شغف زوجها بها، بل وعلى قدرتها على إثارته وجعله يشتهيها إلى هذا الحد.

الجسد الأول فاعل نشط/يعطي أي يمارس الفعل الجنسي لجسد آخر ثان يتلقى/يأخذ أي يكون موضوعا للفعل ويحقق له النمط الانفعالي المقصود. ثم تنعكس الأدوار فينتقل دور الجسد الأول الفاعل للجسد الآخر الثاني ويتحول الفاعل إلى موضوع، أو يمكن في الفعل الجنسي الواحد أن يكون كل منهما فاعلا وموضوعا في آن واحد بحسب نوع الفعل.

يتكلم الجسد عبر تجربة الزواج مثلا بالسلوك الجنسي الشرعي أي المعاشرة الجنسية الزوجية التي أحلها الله تعالى بين الزوجين، وهو كلام حلال وشرعي وإيجابي أخلاقيا للجسد. ثم يتكلم الجسد بصورة غير شرعية ولا أخلاقية عبر التجارب التالية:

1 – الزنى

2 – البغاء

3 – اللواط

4 – السحاق

5 – الجنس مع الحيوانات

هذه الممارسات الجنسية هي صور لسلوكيات جنسية محرمة شرعا في الإسلام أولا، ثم سلبية أخلاقيا ثانيا، أي لا تحقق السمة الإيجابية للفعل الجنسي على مستوى الحكم الأخلاقي، وإن حققت الإشباع أو كان مصدرها الحب أو الانسجام أو الضرورة أو غيرها من عوامل قد تبدو إيجابية في ظاهرها، لكنها لا تمحو أو تحل محل سلبية الفعل أخلاقيا بعيدا عن الشرع والقانون ومن وجهة نظر أخلاقية بحتة. كما أن ممارسة الفرد لأي من الأفعال الأربعة المذكورة مع إدراكه عدم شرعيتها الدينية وعدم قانونيتها تجعله في وضع الخارج على الشرع والقانون والمتجاوز للتابو الديني والاجتماعي. ثالثا، لا تحقق هذه العلاقات غير الشرعية الهدف الأساسي للعلاقة الزوجية الشرعية في الإسلام وهي الإنجاب والتناسل وتكوين أسرة وحدوث امتداد للمجتمع الإسلامي نتيجة لهذا الفعل الشرعي. يقول القديس أوغسطين: إن مثل هذه الأفعال الجنسية تعبر عن حالة تمرد ضد قانون الله، تماما كما تتمرد هويتنا الجنسية ضد العقل والمنطق فينا. والشهوة الجنسية قادرة على فرض قواها ليس فقط على الجسد كله من الخارج بل من الداخل أيضا[1].

لكن ماذا نقصد بوصف الممارسات السلوكية الجنسية السابقة بالسلبية الأخلاقية. هناك مسائل أخلاقية عدة تجعلنا نطلق هذه

(1) أوغسطين، مدينة الله، مطبعة جامعة هارفارد، 1966، ص 353 – 355.

الصفة على الأفعال الخمسة المذكورة سابقا، أولا: لا يتحقق الخير نتيجة للفعل الجنسي هنا، إما لأن الفعل غير شرعي أو غير قانوني أو تنقصه العلانية أو يترتب على تنفيذه خيانة زوجية أو غيرها، وفي اثنين من الأفعال المذكورة السابقة – السحاق واللواط – لا يتحقق الهدف البشري والشرعي من العلاقات الجنسية وهو عدم إنتاج أفراد جدد في المجتمع الإسلامي أي أنهما يؤثران على التناسل سلبا. ثانيا، هذا الفعل يتم بالرغم من إدراك الفرد له أنه فعل غير شرعي أو قانوني. نقصد أن الفرد مارس الفعل الجنسي هنا مع علمه المسبق وإدراكه الكامل كفرد عاقل وناضج بغياب صفته الشرعية والقانونية، أي مع نية مخالفة ما هو شرعي أو قانوني في المجتمع. ثالثا، يترتب على قيام مثل هذه العلاقات المحرمة أذى للفرد وللآخر:

1 – الأذى الخاص بالفرد هو إما جنسي أو مرضي مثل إصابته بمرض الإيدز، أو تعرضه للضرب أو لأفعال غير سوية أو مرغوبة في الممارسة الطبيعية، أو تعاطي المسكرات أو المخدرات لمحاولة زيادة الشعور بالنشوة أو للتغلب على الإحساس بالذنب عبر تكرار الفعل.

2 – أذى عائلي اجتماعي خاص بسمعته أو تحطيم زواجه أو أسرته أو انحراف أبنائه نتيجة لغياب نموذج القدوة، أي أن الأذى هنا يكون فعلا موجها إلى الفرد ومحيطه الاجتماعي.

ميول سحاقية

الجسد يتكلم من خلال ممارسة السحاق، لكنه خطاب غير عادي، إنه كلام ناعم آمن لطيف ومريح نفسيا كما تعتقد وتعبر السحاقيات. فالمرأة مع مثيلتها، والجسد الأنثوي يتعامل ويتواصل مع جسد آخر يماثله في النعومة والتفاصيل والتقاطيع. إنها تعرف هذا الجسد الذي يشبه جسدها وتعرف مواطن الإحساس فيه وماذا تفعل ولا تفعل حتى لا تؤذيه. ولعل من عجائب الأمور، أن الرجل يعيش في عالم المرأة المليء بالنعومة والرقة، بينما المرأة تتوه على غير هدى في عالم الذكورة الخشن والقاسي. إن يديها تحنان إلى ضم الجسد الناعم واللحم الغض، وتتمنى في جميع فترات حياتها أن تمتلك كنزا مماثلا للكنز الذي تمنحه للذكر، وهذا يفسر لنا وجود ميول سحاقية لدى الكثير من النساء[1].

المرأة ترتاح مع المرأة، ولا خوف أو خجل يشوه أو يعكر متعتها خاصة مع غياب الرائحة الذكورية والعضو الذكري والشعر الكثيف والخشونة والاقتحام والولوج. لا يوجد ألم في علاقة السحاق ولا مشكلة بكارة أو مسؤولية عذرية، فقط اعتقاد براحة ومتعة وانسجام. لذلك تقبل بعض النساء على السحاق وتحبه وترعاه كسلوك محبب إليها، وكأنها تكون في هذا الفعل مع نفسها وجسدها. إن ملمس الحرير الناعم يعوض عن قسوة العالم الجنسي.

(1) دي بوفوار، س، المرجع السابق، ص 137

وإذا كانت أكثرية السحاقيات يرتدين الملابس الرجالية، فليس ذلك اقتداء بهم وتحدّيا للمجتمع فقط، بل إنهن غير محتاجات لدغدغة الساتان والمخمل لأنهن يتلقفن مزايا السلبية على الجسد الأنثوي[1].

سنرى في الفصل الرابع: الاستبيان، من كتاب السحاق تفاصيل إجابات النساء حول موضوع السحاق، وخوفهن البارز ليس من الجنس مع المرأة بقدر الخوف من نظرة المجتمع إلى هذه العلاقة والعقاب الذي ينتظرهن. نسوق الخبرين التاليين كمثال على سخط المجتمع على السحاق والعقوبة التي يمكن أن تلحق بهما. نشرت صحيفة "الوطن" الكويتية في عددها الصادر يوم السبت 24 فبراير 2001 خبرا من الصومال عن **الحكم بإعدام سيدتين صوماليتين لممارستهن السحاق**، وجاء في الخبر (أصدرت محكمة صومالية حكما بإعدام سيدتين اتهمتا بإقامة علاقة جنسية شاذة بينهما، وتعتبر هذه القضية الأولى من نوعها في الصومال، الدولة المعروفة ثقافيا بالتحفظ ومراعاة التقاليد الإسلامية. وأن العلاقات الشاذة بين السيدتين اكتشفت بعد أن رفعت إحداهن قضية ضد شريكتها التي تقيم في الولايات المتحدة تتهمها فيها بالتسبب في إصابتها بمرض ينتقل عن طريق ممارسة الجنس. واكتظت قاعة المحكمة بالمئات من الناس الذين هللوا لدى نطق القاضي الحكم على السيدتين والذي استند فيه إلى أحكام الشريعة الإسلامية). انتهى خبر الصحيفة.

---

(1) المرجع السابق ص 294

ولعل هذا الحكم هو الأول من نوعه في دول العالم الإسلامي وربما في العالم كله. إذ لم يسبق أن حكمت محكمة في قضايا من هذا النوع بمثل هذه العقوبة القصوى (الإعدام)، وإن كنا نوافق أو نعترض على الإعدام، إلا أننا لاشك نستشعر الضرورة القانونية اللازمة للحد من هذه الممارسات التي تضر بالمجتمع. وأهمية سن قوانين لضبطها والحد من انتشارها بدلا من ممارسة دور النعامة معها، كما تفعل الكثير من الدول العربية والخليجية، أي غض البصر والتجاهل. الأمر الذي يؤدي إلى تفاقم المشكلة وتزايدها.

هناك مثال آخر هو لبنان، فقد نشرت صحيفة "الرأي العام" الكويتية (الجمعة، 2 نوفمبر 2001)، الخبر التالي:

في حدث هو الأول من نوعه في لبنان، أعلن عن توقيف سحاقيتين بـ"تهمة الزواج"، الأمر الذي ركز الأضواء على ظواهر اجتماعية خطرة تتفشى من خلف ظهر تلهي أهل الحكم بصراعاتهم والانهماك بتداعيات الحرب الدولية على الإرهاب. فمع تزايد حدة الأزمات الاقتصادية، وتاليا الاجتماعية واهتزاز سلم القيم، بدأت تغزو بيروت ظواهر كانت موجودة على نطاق ضيق، لكنها الآن أخذت بالانفلات. واحدة من تلك الظواهر كشفت عن وجهها البشع أخيرا عندما أعلن أنه أحيلت إلى قصر العدل في جبل لبنان الفتاتان (م.ض) و(غ.ي) بتهمة ارتكاب فعل مناف للحشمة في إحدى ضواحي بيروت، وسرعان ماتبيّن من التحقيق أنهما سحاقيتان وارتبطتا بعقد زواج شفهي بينهما، ولبست كل منهما محبسا من

الذهب، تعبيرا عن ارتباط إحداهما بالأخرى. وانكشف أمرهما حين تقدم ذووهما ببلاغ إلى الشرطة بمغادرة ابنتيهما منزليهما ولم تعودا إليه.. وبعد أسبوعين من البحث عنهما، عثر عليهما وتبين أنهما انتقلتا للعيش سويا في شقة تخص إحداهما في ضاحية من بيروت. وكانت كل منهما تضع خاتم زواج في بنصر يدها. وبسؤالهما عما إذا كانتا تزوجتا، أوضحت (غ) أنها ارتبطت بعلاقة جنسية مع صديقتها، ونتيجة حبهما الجارف قررتا وضع خاتمين تتويجا لهذا الحب.. وبعد فترة قصيرة من إقامتهما سويا، عملتا في صالون نسائي، حيث لاحظ عمال المحل أن ثمة أمرا غريبا بين الفتاتين. وأنهما عند خلو الصالون كانتا تختليان ببعضهما وتتبادلان القبل. وقالت الصحيفة إنه تم توقيف الفتاتين وأحيلتا إلى النيابة العامة للتحقيق معهما من قبل قاضي التحقيق في جبل لبنان خليل إسماعيل. انتهى الخبر.

إن أهمية هذين المثالين تكمن في المسؤولية القانونية الملقاة على الجهات المسؤولة وضرورة سن قوانين ضد السحاق، وتشجيع العامة على تقديم شكوى ضد أي فعل غير لائق أو مشين يلاحظونه على فتاتين في أي مكان. ورفعه إلى النيابة للتحقيق فيه. فمنذ عقود عدة لم تكن جريمة الاتجار بالمخدرات تستدعي الحكم بإعدام التاجر، لكنها تحولت إلى عقوبة أساسية في قوانين الكثير من الدول الإسلامية، ومنها الكويت. **والمشكلة التي بين أيدينا يمكن بل**

يجب أن تقنن وتسن فيها قوانين صارمة، خاصة إذا لاحظنا الأرقام والنتائج التي انتهى إليها الاستبيان في الفصل الرابع.

نسبة الإجابات وتذبذبها مذهل، مثلا 53 من مئة امرأة وافقن على محبة امرأة لولا معارضة الدين والمجتمع (السؤال الحادي عشر)، و60 من مئة امرأة قلن بوجود ميل لديهن إلى محبة النساء (السؤال الخامس عشر)، و79 من مئة امرأة قلن بوجود ميل إلى النساء لكنهن يحاولن كبته/منعه (السؤال السادس عشر). الميول السحاقية لدى النساء في هذا الاستبيان واضحة لولا الخوف من كلمة محبة وما تحمله من إيماءات وإيحاءات، ولولا شبح سوط المجتمع الذي يسيطر على وعيهن ويمنعهن من البوح وإطلاق آرائهن ومشاعرهن. بل وأشك في أن بعض النساء يفهمن هذه الميول أم لا، ويفكرن بها مباشرة أو يخفينها في مكان بعيد من اللاوعي. بعض النساء لا يعرفن أن لديهن ميولا سحاقية لشدة رفضهن للفكرة بسبب الخوف من النقد أو العزل أو عقاب الدين أو المجتمع أو الزوج أو الأهل. لقد فقدت الواحدة من هذه الجماعة الصدق والمكاشفة مع الذات إلى درجة أنها لم تعد قادرة على النظر في مرآة نفسها والقول: "لا يمكنك أن تخفي ميولك السحاقية".

هل بإمكاننا القول إن كل امرأة تمتلك ميولا سحاقية، مجرد ميل طبيعي قد يتطور في ناحيتين:

1 – الاهتمام الجاد بالسحاق ومن ثم ممارسته

أو

2 – الامتناع عن الممارسة وبقاء الميل القوي الذي يتم التعبير والتنفيس عنه في مناسبات خاصة كالمشاركة في الأعراس التي تقتصر على النساء، من خلال الرقص والقبل والتمايل والمداعبة واللمس وجلسات التدليك. أو يتم كبت وتهذيب هذا الميل والتغلب عليه بالتدين أو الرياضة أو غيرها من وسائل بسبب معايير وضوابط المجتمع كما يحدث لدى أغلبية النساء، وبخاصة عند النظر إلى النسب المئوية السابقة وغيرها في الجزء الخاص بالاستبيان في كتاب «السحاق».

قد تنشأ مثلا هذه الميول مع البنت منذ ارتباطها مع أمها عبر الرضاعة، والتصاقها بجسد أمها وإحساسها بالفيض الأنثوي بدفئه ومشاعره وانفعالاته، وتواصلها معه خلال سنواتها الأولى عبر تجارب التغذية والمشي والكلام وغيرها، ورسوخ هذه التجارب بجسد الأنثى/ الأم. ثم انفصالها عنها تدريجيا مع دخول عنصر الأب وميولها لاستكشاف تجربة جديدة مختلفة – وجودها الأنثوي في مقابل الذكر – وجسد آخر مغاير واستكشاف نفسها في مقابله، وقد تغيب الأم وقد لا تغيب سواء في الوعي الحاضر وفي الواقع والحياة والمعيشة، أو عبر الوعي الباطن وكخبرة مخزنة ومختبئة وليس في الخبرة اليومية المعيشة. ولكن الحنين يعود إلى وجود المرأة في مقابل جسد أنثوي آخر في المراحل المدرسية الأولى وظهور الحاجة للارتباط بزميلة أو الإعجاب بمدرسة في هذه المرحلة، كما أفادت

إجابات الاستبيان نفسه. لكن بمجرد تفتح وعي الفتاة وتنبهها لأوامر ونواهي وضوابط المجتمع وعاداته وتقاليده، تبدأ بالانفصال عن هذا الشعور بمحبة امرأة أخرى خاصة حين تدرك رفض المجتمع لمثل هذه المشاعر والميول، وتسير تدريجيا مع التيار السائد بالبحث عن زوج والتدرب على دور الأم والزوجة التقليدي.

تنظر بعض السحاقيات إلى السحاق على أنه تعبير كامل عن حريتها "مع" جسدها، إنها رؤية توهم نفسها بصحتها انتقاما لكل ما تعلمته من سلبيات عن جسدها في مجتمعها الشرقي. يتحول هذا الجسد في الممارسة السحاقية إلى الجسد الذي تحب وتحتضن والجسد الذي تتواصل معه، ولاشك في أننا ندرك هنا تطور هذه المرأة الثقافي والفكري لأنها استطاعت فهم وتحدي الإرث التقليدي العربي الكامل عن جسد المرأة كخطيئة ومنطقة حمراء أو "تابو".

إن مايشجع ويسهّل علاقة السحاق – كما تعتقد بعض السحاقيات – هو كل التفاصيل الأنثوية والجمالية والإيجابية في العلاقة. المرأة تداعب المرأة في علاقة السحاق دون احتلالها أو امتلاكها كما يحدث في علاقتها مع الرجل، ويبقى لكل من الجسدين في العلاقة السحاقية أمنه واستقلاليته، مع الشعور الغامر والفائض بالأمان بسبب إلغاء احتمال فقدان البكارة والحمل. إنها متعة خاصة لأنها مزدوجة، المتعة الجنسية ومتعة الأمان في المتعة الجنسية ذاتها مما يجعلها أكثر غزارة وتشعبا. ولجسد المرأة قيمة جمالية عليا لدى المرأة الأخرى – الشريكة في العلاقة – فلا تقتصر

ممارسة الحب على استثارة الفرج بل تستمتع كل منهما بجسد الأخرى كاملا بملامسته وتمسيده باليد والفم. المرأة تعشق جسد المرأة في العلاقة السحاقية، وقد تصل إلى النشوة بعيدا عن الفرج أحيانا الذي لا يعتبر بالضرورة هنا مركز اللذة. " لقد تمتعت ببلوغ أوّل ذروة جنسية مع صديقتي الأولى التي ما فتئت تردد عليّ أنني كنت أتوقف باكرا، ولهذا لا أتمتع باللذة، فما كان مني إلا أن استمررت إلى أن تم لي ذلك "[1].

أشارت الروائية حنان الشيخ في رواية "مِسك الغزال" بإسهاب إلى مسألة الإشباع النظري في الإطار الروائي أثناء وصف الجو المحموم الذي تعيشه المرأة في الأعراس النسائية المنفصلة في منطقة الخليج خاصة. مزيج العطور والأزياء العارية والرقص والبخور والماكياج واستشعار المرأة العالي والخاص جدا لجسد غيرها من النساء، وتصاعد الرغبة الجنسية بينهن واستخدام الرقص كوسيلة للتعبير عنها، والتصاق الأجساد وانتقال كهرباء الحرارة من الجسد إلى الآخر الملاصق به. بإمكاننا القول هنا إن الإيحاءات الجنسية بين النساء الواضحة حينا والمستترة حينا آخر إنما تدل على هذا الحنين والاشتياق الدفين الذي تحمله المرأة للمرأة. ألا يعتبر هذا النوع من السلوك مثل ممارسة جنسية تُمارس بالنظر، أي بتأمل أجزاء من الأجساد العارية وهي في كامل زينتها تحت الدنتيل

(1) هايت، المرجع السابق، ص 439

المطرز والمخرّم والشيفون وغيرها من خامات ومواد مثيرة وغامضة. نساء ملونات معطّرات يشتهين بعضهن البعض، ويعبرن عن هذه الرغبات الخفية بالنظر وينفّسن عنها إن تجرأن بالرقص والالتصاق أحيانا أو الاحتكاك في مظهر احتفالي خاص بهن وحدهن في عالمهن الشخصي "الحريمي"، بعيدا عن أنظار الرجال ومراقبتهم.

تعليقنا الأخلاقي هو أن السحاقية امرأة بعيدة كل البعد عن دينها كجوهر، وتعاليم، ومبادئ وعبادات..إلخ، إنها فاقدة للوعي الديني وعاجزة عن الوصول إلى روح الدين الإسلامي العظيم الذي كرّم المرأة وأعلى من شأنها بل وأعطى مكانة معنوية عليا لجسدها كقيمة وحُرمة غالية. إضافة إلى أنها بسبب تراكمات وتجارب نفسية وجسدية سلبية تكره الرجل وتميل إلى المرأة لأنها بسبب العالم الوهمي الخيالي الذي تعيشه صارت تعتبرها منطقة آمنة لها. وإن لم تجد رادعا دينيا أو أخلاقيا يمنعها سوف تستمر خاطئة وواهمة. إنها ضعيفة، لذلك تضع تبريرات نفسية واجتماعية وبيولوجية لتقنع نفسها بها حتى تتمكن من التخلص من كافة المعوقات، كالشعور بالذنب وعبء سخط المجتمع وغيرهم.

القسم الأوّل: السحاق

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«السحاق زنى النساء بينهن»

أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد

الفصل الأوّل: المصطلح

في القرآن الكريم والحديث الشريف
في اللغة
في القانون

1 – في الشريعة الإسلامية

حرّمت الشريعة الإسلامية كل ما هو مغاير للعلاقة الجنسية الطبيعية وخارج إطار الزواج لما فيها من متعة وهمية متَخيّلة، ومن غير المنطقي اعتبار أن هناك متعة في الفعل الجنسي المحرّم، لأن التحريم ينطلق من مبدأ أن الفعل المحرم لا يؤدي إلى فائدة ويناقض الخير أي لا يحققه، كما يستند إلى الألم والأثر السلبي على الفرد ومحيطه الأسري والاجتماعي ككل، ولأنه يناقض الأمر الرباني بالتزاوج من التناسل وهذا لا تنتجه العلاقة المثلية. ويعتبر اللواط والسحاق من ضمن تلك العلاقات المحرّمة. ولكن اختلف الفقهاء وتنوّعت أطروحات المذاهب في تحديد عقوبة كل منهما كما سنرى في هذا الفصل، سأعرض أولا الآيات التي ورد فيها اللواط لعدم ورود السحاق في نص قرآني صريح ومباشر، ثم الأحاديث النبوية التي تحدثت عن اللواط والسحاق والتخنث وغيرها من مظاهر مشابهة، وأخيرا آراء متنوعة من مصادر مختلفة أخرى.

يقول مروان الشعار: إن الإسلام حرّم الشذوذ الجنسي لأنه عمل خبيث وانتكاس في الفطرة وانغماس في الشهوات القذرة وإفساد للرجولة وجناية على حق الأنوثة، وهو ما تناولته النصوص الإسلامية بالتحريم، حيث إتيان الرجال للرجال، هذه الفاحشة التي ابتكرها قوم لوط، إذ كانوا يمارسون العملية الجنسية فيما بينهم.[1] ويقول محمد شحرور في كتابه "الدولة والمجتمع": حرّم الله اللواط

(1) مروان محمد الشعار، العلاقات الجنسية في الإسلام، دار النفائس، بيروت ط1، 1990، صفحة 118.

عند قوم لوط، والفواحش (الزنى) عند موسى، ثم أكمل موضوع الفواحش بتحريم اللواط والسحاق والزنى عند خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم. فنبي الله لوط كان قبل موسى، مما نتبين معه بشكل قاطع أن تحريم اللواط جاء قبل تحريم الزنى.

أوّلا: في القرآن الكريم

جاء لفظ أو موضوع اللواط في الآيات الشريفة التالية:

1 – سورة الأعراف الآيات 80 – 84

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾

شرح:

قال الحسن: كانوا ينكحون الرجال في أدبارهم، وكانوا لا ينكحون إلا الغرباء. وقال عطاء عن ابن عباس: استحكم ذلك فيهم حتى فعل بعضهم ببعض... ونصبت "شهوة" على أنها مفعول له: أي لا حامل لكم على غشيان الرجال من دون النساء إلا مجرد الشهوة.

وفي مذهب الشافعي أن اللواط يوجب الحد، لأنه ثبت في شريعة لوط. وقال أبو حنيفة: إن الواجب فيه التعزير، لأنه فرج لا يجب المهر بالإيلاج فيه، فلا يجب الحد كإتيان البهيمة[1].

2 – سورة الشعراء الآيتان 165 – 166

﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾﴾

وفي مناسبة قوم لوط يقول الله تعالى:

3 – سورة هود الآيتان 82 – 83

﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾

4 – سورة العنكبوت الآية 29

﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾﴾

(1) انظام الدين النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، مكتبة مصطفى البابلي الحلبي، مصر، ج7، ص 170 – 174.

ثانيا: في الحديث الشريف

- لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل. ولا تنظر المرأة إلى عورة المرأة، ولا يفضي الرجل إلى الرجل في ثوب واحد، ولا تفضي المرأة إلى المرأة في ثوب واحد. (رواه مسلم وأبو داود الترمذي)
- عن ابن عباس رضي الله عنهما: لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المخنثين من الرجال1.
- إن أخوف ما أخاف على أمتي عمل قوم لوط. (رواه ابن ماجة عن جابر بن عبد الله مرفوعا في كتاب الحدود باب من عمل عمل قوم لوط).
- لعن الله من عمل عمل قوم لوط، ولعن الله من عمل عمل قوم لوط، ولعن الله من عمل عمل قوم لوط. (المسند 1/ 309)
- من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به. (المسند 1/ 300)
- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بمخنث قد خضب يديه ورجليه بالحناء، فقال صلى الله عليه وسلم ما بال هذا؟ فقيل يا رسول الله يتشبه بالنساء، فأمر به فنفي إلى البقيع. (أخرجه أبو داوود).

- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قضى بالنفي تعزيرا في المخنثين، إذ نفاهم من المدينة. (أخرجه أبو داود).
- قال الرسول صلى الله عليه وسلم: السحاق زنى النساء بينهن. (أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (9/30 ط السعادة من حديث واثلة بن الأسقع وأنس بن مالك، ثم أسند عن ابن معين والنسائي أنهما ضعفا أحد رواته).
- إن تدالكت امرأتان فهما زانيتان ملعونتان ولا حد عليهما وعليهما التعزير. (موسوعة الفقه الحنبلي، ج1 ص 463).
- عن هشام عن الإمام الصادق (ع): دخلت عليه نسوة فسألته امرأة عن السحق فقال حدها حد الزاني فقالت، ما ذكر الله عز وجل ذلك في القرآن قال: بلى، قالت: وأين هو؟ قال: هو أصحاب الرس. (تفسير نور الثقيلين ج 4 ص19).

علة تحريم الذكران للذكران والإناث للإناث لما ركب في الإناث، وما طبع عليه الذكران، ولما في إتيان الذكران الذكران والإناث الإناث من انقطاع النسل وفساد التدبير وخراب الدنيا. (البحار ج79 ص 64).

2 – مصادر أخرى:

أ:

يقول السيد أمير محمد الكاظمي القزويني:

السحاق: هو مس المرأة فرجها بفرج المرأة الأخرى. وقد جاء التعبير عنها في الأحاديث باللواتي مع اللواتي لعنهن الله والملائكة ومن بقي في أصلاب الرجال وأرحام النساء. وهن في النار عليهن سبعون حلة من النار وهو الزنى الأكبر.

ويعتبر في حدّهما الشروط الأربعة:

1 – أن تكونا بالغتين

2 – أن تكونا عاقلتين

3 – أن تكونا مختارتين ولا فرق في ذلك بين الحرة والمملوكة والمسلمة والكافرة والمحصنة وغير المحصنة وبين الفاعلة والمفعول بها، وحدها مائة جلدة وقيل ترجم المحصنة خاصة.

4 – شهادة أربعة رجال عدول أو الإقرار بها أربع مرات كالزنى

ويتفرع على هذا ما يلي:

– إذا تكررت المساحقة وتخللها الجلد ثلاث مرات، كان حدهما في الرابعة القتل وقيل في الثالثة تقتلان.

– إذا تابتا قبل الشهادة عليهما سقط الحد عنهما ولا يسقط بعدها.

– إذا أقرتا بالمساحقة ثم تابتا تغير (ع) بين إقامته عليهما أو العفو.

– إذا وجدتا عاريتين في إزار واحد كان عليهما التعزير بهما دون الحد كالرجلين إذا وجدا في لحاف واحد.

– لا تعد الكفالة في أي حد من الحدود إطلاقا.

– لا يجوز تأخير إقامة الحد بما يصدق عليه التعطيل مع الإمكان وإلا من الضرر وفي الحديث " ليس في الحدود نظرة ساعة "

ب:

فلما رأى – إبليس – أنه قد أحكم أمره في الرجال جاء إلى النساء فصيّر نفسه امرأة فقال لهن: إن رجالكن ليفعل بعضهم ببعض؟ قلن: نعم رأينا ذلك وكل ذلك يعظهم لوط ويوصيهم وإبليس يغويهم حتى استغنى النساء بالنساء. (الكافي بإسناده عن زكريا بن محمد، عن أبيه، عن عمر وعن أبي جعفر عليه السلام).

ت:

ورد في الموسوعة الفقهية، الجزء الرابع والعشرون زلزلة – سَريّة:

الزنى والسحاق يتفقان من حيث الحرمة حيث إن كلا منهما استمتاع محرم، ويختلفان من حيث الحقيقة والمحل والأثر. لا خلاف بين الفقهاء في أن السحاق حرام لقول النبي عليه الصلاة والسلام (السحاق زنى النساء بينهن) وقد أعده ابن حجر من الكبائر.

التعزير:

.. مصدر عزر من العزر.، ويقال: عزر أخاه بمعنى: نصره، لأنه منع عدوه من أن يؤذيه، ويقال: عزرته بمعنى: وقرته وأيضا: أدبته.. وسميت العقوبة تعزيرا، لأن من شأنها أن تدفع الجاني وترده عن ارتكاب الجرائم، أو العودة إليها[1].

(1) الموسوعة الفقهية، الجزء الثاني عشر (تشبيه – تعليل)، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ذات السلاسل، الكويت، 1988، ص 254.

2 – المصطلح في اللغة

التسميات العلمية والشائعة التي تشرح وتصف المصطلح وهو اختيار الشريك في العلاقة الجنسية من الجنس نفسه، سأشرح التسميات تباعا معتمدة في التحليل اللغوي على مختار الصحاح والمنجد:

1 – الشذوذ الجنسي:

وردت الألفاظ التالية في مختار الصحاح والمنجد:

1 – ش ذ ذ: (شذّ) عنه أي انفرد عن الجمهور وندر يشُذّ بالضم والكسر (شذوذا) فهو (شاذ) و(أشذه) غيره[1].

2 – شذّ: شذّ وشذوذا عن الجمهور والجماعة: ندر عنهم وانفرد.. القول: خالف القياس.. عن الأصول: خالفها، فهو شاذ جمع شُذّاذ وشَواذ مفرد شاذّة جمع شواذ.. ومنه "جاءوا شذاذ" أي قلالا شذّاذ الآفاق: الغرباء[2].

نلاحظ من خلال تأمل الألفاظ وشروحها اللغوية كما جاءت في الصحاح والمنجد أن دلالة المصطلح تشير إلى فئة من الناس تشذ أو تنفرد وتنفصل عن الناس وتخالفهم في ما اعتادوا عليه وألفوه فيما يخص السلوك الجنسي. يرفض المجتمع الإسلامي ولا يقبل

(1) مختار الصحاح، ص 332

(2) المنجد، ص 379

ميل الفرد العاطفي أو ممارسته الجنسية مع فرد من جنسه نفسه(الرجل مع الرجل، والمرأة مع المرأة). لاشك في أن أساس الرفض هنا يعود إلى الاعتبار أن طبيعة مثل هذا السلوك خارجة عن إطار الدين والعرف والتقاليد والعادات في المجتمع الإسلامي.

لفظ شاذ يعني ما هو خارج عن المألوف والمعتاد أو المشروع والمتعارف عليه، ويشير إلى فئة قليلة من الناس تشذّ عن الجماعة بسلوكها الغريب والمخالِف. شاذ جنسيا يعني أنه خارج عن المألوف في نمط حياته وممارسته الجنسية.

2 – الجنس الثالث:

هو تعبير تقليدي دارج بين العامة أكثر منه تعبيرا علميا وموضوعيا، متداول محليا في المجتمع الخليجي ويعكس معارضة الناس لمثل هذه الظاهرة، وتعبيرا عن هذا الرفض والسخط، يصنّف المجتمع هذه الفئة بجنس ثالث يختلف عن جنس الرجال أول وجنس النساء ثان. جماعة الجنس الثالث هم الذين يمارسون الجنس من فئة الجنس الواحد، أي الرجال مع بعضهم والنساء مع بعضهن.

3 – المثلية:

مثل:

1 – مَثَلَ – مثولا فلانا: صار مثلَهُ.ماثَلَ مُماثَلَة شابهه.تماثل الشيئان: تشابها..المِثل جمع أمثال: الشبه والنظير المماثل..المَثيل جمع مُثُل: الشبيه والنظير[1].

يدل المصطلح كما نرى في التحليل اللغوي السابق لعدد من الأفراد المنتمين إلى جنس واحد، وحين نطبق المعاني اللغوية على موضوعنا نقول إنهم أفراد يميلون عاطفيا إلى بعضهم بعضا أو يمارسون الجنس مع بعضهم. كما يمكن أن يدل لفظ المثلية مثلا على الاستجابة العاطفية أو الجنسية لأفراد من الجنس نفسه.

4 – السحاق / اللواط:

أ – السحاق

سحق:

1 – سحَقَ سحقا سحقه: دقّه أشد الدق. سحق القلبُ: انكسر وتذلّل.. سحق درهم أي درهم زائف..السحيقة جمع سحائق: المطرة الشديدة تجرف ما مرت به. السحاقة الكثير السحق.

2 – سَحَقَ سحقا سحقه: أهلكه. تساحقا: سحق أحدهما الآخر.

(1) المنجد، ص 747

3 – سحق سحقا سحقه الله: أبعده. يقال: "سحقا له" أي أبعده الله عن رحمته[1].

يخص مصطلح السحاق المرأة التي تهوى ممارسة الجنس مع امرأة مثلها تعتبر نظيرتها أو شريكتها في العلاقة. حين النظر إلى المعاني المدرجة في هذا الجزء في علاقتها بمعنى السحاق كممارسة جنسية بين النساء يمكننا تأملها مثلا من الزاوية الأخلاقية بحيث نقول: إن من مارست السحاق من النساء أبعدها الله تعالى عن رحمته أي غضب عليها، وإن ممارسة السحاق تعني الهلاك بمعنى غضب الله والمجتمع معا، وهذا يقودنا إلى استنتاج أن ذلك يؤدي إلى سحق ديني واجتماعي وإنساني. وتشير معظم المعاني إلى الشدة كما في الدق أو المطر أو الهلاك، أي اتجاه معظم المعاني إلى الحدة والتطرف وعدم الاعتدال، فلو قلنا إن الاعتدال هو الجنس بالمعنى المتعارف عليه للممارسة المشروعة بين الرجل والمرأة يكون التطرف هو الجنس بين المرأة والمرأة مثلا.

وفي باب سحق جاء في "تاج العروس" الجزء الخامس والعشرون الصفحة 433 مايلي:

(1) المرجع السابق، ص 324

1 – (سحقه) أي الشيء (كمنحه) يسحقه سحقا مثل (سهكه) سهكا، نقله الجوهري، أو سحقه (دقه) أشد الدق، أو السحق الدق الرقيق، أو الدق بعد الدق، وقيل السحق: دون الدق، قال الليث. 2 – فانسحق: اندق

3 – امرأة سحاقة: نعت سوء لها، وقال الأزهري: ومساحقة النساء لفظة مولدة، ولعن الله المساحقات. ص 436.

4 – قال يعقوب: أسحق الضرع، ذهب لبنه، وبلي ولصق بالبطن. وقال الأصمعي: أسحق ييبس. ص 437.

يمكن القول إن هذه الممارسة اكتسبت مصطلحها كونها تؤدي إلى اليباس (كما قال الأصمعي في أسحق)، وكما قال يعقوب في الضرع (ذهب لبنه). إذ إن هذه الممارسة المثلية لا تؤدي إلى الإنجاب الذي هو النبت عكس اليباس، ولا تؤدي إلى إدرار الضرع الذي هو الحليب الذي ينتج في الثدي عندما تنجب المرأة، وتقوم بفعل الرضاعة الذي هو المساعدة على الاخضرار عكس اليباس، والسحق كما هو واضح في المعاجم هو انسحاق الشيء أي بلاؤه. كما هو وارد في "تاج العروس" وسحق الثوب: بلي وبره، وبلي أي أصبح غير صالح للاستعمال، والدلالة هنا تذهب في تحديد وظيفة المصطلح إلى حد جعل المساحقة فعلا تدميريا للجنس البشري، لأنها تمنع الإنجاب، أي التناسل. ونرى أن المصطلح هنا أكثر قوة

في الإشارة إلى الفعل السلبي المترتب على الممارسة المثلية (السحاقية) منه على قوة مصطلح اللواط، رغم التشابه الواضح في نوع الفعل وفي النتيجة التدميرية للجنس البشري الناتجة عن ممارسة هذين الفعلين. ذلك أن المرأة تعني في اللاوعي الإنساني الخصوبة، والخصوبة عكس اليباس. كما أن المرأة هي الأم والحاضنة والمربية أي النموذج الأسري الأكثر مسؤولية والأكثر التصاقا بالأبناء، فكيف إذا فسدت أخلاقها وانحدرت إلى هذا المستوى من الممارسات.

ب – اللواط

لوط: 1 – لاطَ يلوط لوْطا. الشيء بالشيء: ألصقه به. يقال "التاط بقلبي" أي لصق به وأحببته. اللوْط: الرداء/ الشيء اللازق. يقال "إني لأجد له في قلبي لوطا" أي حبه لازقا بقلبي. 3 – اللوط: الربا/ الرجل الخفيف. اللياط: الربا (أصله اللواط)[1].

تدور المعاني في قسم (1) حول ما هو لاصق ولازق سواء في وصف مقدار المحبة أو شكل الرداء، ولعل صفة الالتصاق هنا لها معنى مرادف في المنحى الجنسي لوضع الممارسة بين الرجلين، كما سنورد في القسم الخاص بوصف طرق الإشباع. أما في قسم

(1) المرجع السابق، ص 739

(2) فالمعنى الرئيسي هو وصف الرجل الخفيف وربما المقصود الناعم والرقيق الذي يقوم بممارسة اللواط.

يشير مصطلح اللواط بصفة عامة إلى التسمية المعني بها رجل يمارس الجنس مع رجل مثله، وهي التسمية التي وردت في القرآن الكريم لوصف قوم النبي لوط الذين ابتلاهم الله تعالى بهوى ممارسة الجنس مع أقرانهم من الرجال، وأرسله الله تعالى ربما في أصعب مهمة مرت على نبي، وهي انتشالهم من بلائهم هذا.

5 – الخنثى[1]: مشتق من التخنث وهو التكسر، وسمي الخنثى لأنه تكسر، وتنقص حاله عن حال الرجال ويفوق على حال النساء حيث كان له أعضاء تناسلية مذكرة ومؤنثة. والمخنث هو الذي يلين في قوله ويتكسر في مشيته كالنساء، وقد يكون خِلقَة، وقد يكون تصنعا من الفسقة، ومن كان ذلك فيه خلقة فالغالب من حاله أنه لا إرب له في النساء، ويمكنه الدخول عليهن لأنه أقرب إليهن.

ويعرف عمل قوم لوط بأنه: "إتيان الذكور في الدبر"، كما عرف أيضا بأنه: "اكتفاء الرجال بالرجال ... وطء الذكر لذكر"[2].

ولهذا العمل القبيح أسماء أخرى يعرف بها منها ما يلي: –

(1) الشعار، المرجع السابق، صفحة 123.

(2) محمد بن إبراهيم الحمد، الجريمة الخلقية، دار ابن خزيمة، الرياض، ط2، 1994، صفحة 7.

(عمل قوم لوط: لأنهم أول من ابتدعه، أو الفاحشة: وقد سماها الله عز وجل بذلك، لأنها فعلة متناهية القبح، أو اللواط: كذلك نسبة إلى قوم لوط عليه السلام، أو الشذوذ الجنسي: لأنه شذوذ منحرف، وانتكاس في الفطرة، أو الجنسية المثلية: سماها بعض الباحثين بذلك، لأنه يمثل الميل نحو نفس الجنس، أو المدابرة: لأنه عبارة عن إتيان الرجال في أدبارهم)[1].

(1) المرجع السابق، صفحة 7.

3 – المصطلح في القانون:

استعرض قانون الجزاء الكويتي في الباب الثاني الخاص بالجرائم الواقعة على العرض والسمعة وعن المواقعة الجنسية وهتك العرض وجرائم الزنى والفعل الفاضح المخل بالحياة وجرائم التحريض على الفجور والبكارة والممارسة الجنسية الشاذة.

كما يعتبر القانون الكويتي الممارسة الجنسية المثلية الخاصة بالرجال ضربا من الفجور.

تقول المادة 193 من قانون الجزاء:

إذا واقع رجل رجلا بلغ الحادية والعشرين وكان ذلك برضائه –، عوقب كل منهما بالحبس مدة لا تتجاوز سبع سنوات.

كما أشرنا في المقدمة، ص 34، إلى أننا نؤمن بقوة بضرورة عدم تجاهل مشكلة السحاق وسن قانون يحد من انتشارها، ويعاقب بصرامة من يمارسها.

الفصل الثاني: المشكلة

أولا: الانحراف الجنسي

ارتبط الشذوذ تاريخيا في أذهان الناس بأنه ممارسة جنسية تقتصر على الرجال فقط، لذلك يندر توافر مفاهيم أو قوانين تخص علاقة المرأة بالمرأة جنسيا سوى تلك التي تأتينا من الثقافات الغربية. لكن اتفق الأطباء والأخصائيون النفسانيون عامة على عدم تشخيص الشذوذ الجنسي كمرض إنما كنوع من الانحراف الجنسي وذلك بالتمييز بين نوعين من الأفراد:

أ – الفرد الذي يولد بمشكلة جنسية خلقية كأن يولد بعضوين أنثوي وذكري، أو باضطراب هرموني أو بضمور في الأعضاء الجنسية وغيرها. هنا المشكلة خلقية من فعل واختيار الله تعالى مثلما يولد الفرد بإعاقة في الجسم أو البصر أو غيرهما ويمكن للفرد اللجوء إلى العلاج الطبي لتصحيح الخلل الذي لديه. أو وجود خلل هرموني لدى الفرد اللوطي أو السحاقية كزيادة الهرمون الذكري (الأندرولوجين) لدى السحاقية.

ب – الفرد الذي يولد بصورة صحية مكتملة جنسيا لكنه ينحرف في إدراكه لهويته الجنسية الجسمانية السليمة، ويتحول إلى لوطي/ سحاقية لظروف وأسباب عديدة سيأتي ذكرها لاحقا. هنا نعتبر الشذوذ الجنسي الذي تبناه واكتسبه الفرد بالرغم

من جسده السليم وأعضائه الجنسية الصحيحة نوعا من الانحراف الجنسي.

يتضمن الانحراف الجنسي عددا من الممارسات الغريبة التي تخرج عن حكم الدين والمنطق السليم والعقل الراشد والعرف والتقاليد والذوق العام، مثل: التعري، جماع الموتى، جماع الحيوانات، جماع الأطفال، المثلية الجنسية، الاستمناء، السادية والماسوشية وغيرها.

أنواع الانحراف:

1 – الانحراف الفردي الشخصي ينطبق على حالة واحدة نادرة نابعة من الفرد نفسه أو من عناصر خارجية محيطة ومؤثرة فيه، ولا تنطبق نفس هذه الظروف على شخص آخر إلا نادرا.

2 – الانحراف الظرفي: أي نوع من الانحراف المرتبط بظروف محيطة بالفرد، أو قد تعود إلى ظروف ضاغطة يكون الفرد شريحة بينها.

3 – الانحراف المجتمعي: وهو الانحراف الذي يكون نتيجة حتمية – في حال ضعف شخصية الفرد وانهيار إرادته أمام المغريات – لانحراف المجتمع بما فيه سلوكيات الأغلبية وأنماط المعيشة وظواهر الفساد وأسلوب الحياة بصفة عامة، كظاهرة الحكم على الفرد وتقييمه من خلال المظهر دون النظر إلى الداخل من أخلاق وثقافة وعلم، أو انتشار

المخدرات والدعارة وفساد الجهاز الأمني والقانوني وغيرها، هنا يجد الفرد نفسه مدفوعا إلى الفساد تماشيا مع الغالبية ومحاولة للانسجام في المجتمع.

ثانيا: صفات

سألخّص فيما يلي صفات محددة لنماذج مختلفة لأفراد يمارسون الجنس مع آخرين من نفس جنسهم، الرجال مع الرجال والنساء مع النساء، وذلك حصرا لمن التقيت بهم أثناء إعدادي لهذا البحث ولهؤلاء الذين قرأت عنهم في المراجع المستخدمة في البحث–، إضافة إلى ملاحظاتي ولمعلومات أدلى بها المتخصصون:

فئة أ)

الرجل الناعم الذي يتكلم ويتحرك بشكل أنثوي، يرتدي ملابس نسائية ويضع ماكياجا وشَعرا مستعارا لكنه مكتمل الذكورة ويمتلك أعضاء جنسية بيولوجية طبيعية وكاملة. أخبرنا أحد القانونيين (محاضرة قسم الاجتماع، كلية الآداب 13 أبريل 99) أن إحدى الشكاوى المرتبطة بالموضوع كانت لسيدة قدمت شكوى ضد أخيها الذي قالت إنه معتاد على سرقة ملابسها وأحذيتها بهدف ارتدائها وهي لا تعرف كيف تتعامل معه. أي أنه شخص يواجه مشكلة مع جسده أو هويته الجسمانية، فشكله ومظهره الخارجي يتعارض مع شعوره بهويته الجسمانية، فيبدو خارجيا كرجل لكنه يشعر بأنه امرأة محبوسة داخل جسد رجل، والعكس صحيح بالنسبة إلى

المرأة، التي تبدو ظاهريا كامرأة لكنها تشعر بأنها ذكر وتتصرف بناء على هذا الشعور. هذا الشخص يمكن في أقصى حالات الاضطراب أن يلجأ إلى عمليات تجميلية لتغيير مظهره الخارجي لينسجم مع شعوره الداخلي بنفسه وبجسده. قال أخصائي في الصحة النفسية: إن معظم من يراجعون عيادته من الشواذ يطلبون إجراء عملية دون رغبة في العلاج. أي يطلبون منه تحويلهم إلى طبيب متخصص لتغيير جنسهم.

يقول الدكتور حسني الفار (جريدة الوطن، 6 يوليو 1997) في هذا الموضوع (قد يرغب رجل في التحول إلى أنثى، لذا يرتدي باروكة وملابس حريمي ويزيل شعر ذقنه وشاربه.. ويرتدي السوتيان..). يعود السبب في مثل هذا السلوك المضطرب مثلا إلى مرحلة الطفولة بسبب ارتدائه لملابس أنثوية. تجهل بعض الأمهات خطورة هذه الممارسة فتتساهل في التمييز بين ملابس الولد والبنت وتمزج بينهما مما قد يساهم في تأسيس الخلط في معايير الأنوثة والذكورة لدى الفرد. وقد يرسخ ويثبت في شخصيته ويتحول تدريجيا إلى حاجة ملحة للمظهر الأنثوي. أيضا يمكن أن يكون التفكك الأسري أحد أسباب مثل هذا السلوك المضطرب لدى الرجل الميال إلى المظهر الأنثوي كغياب سلطة الأب في العائلة كرمز للرجولة والخشونة، أو كونه الولد الوحيد بين الأخوات البنات، أو تربيته بصورة مترفة وتدليله. أو أن يكون الولد الوحيد بين أخوات بناتا أو بنت واحدة بين إخوة صبيان فيكتسب كل منهما سلوكيات

الجو البيئي المحيط فيتعلم هو النعومة والرقة وتكتسب هي الخشونة والشجاعة والعنف. هناك مثلا حالة ولد كانت تتمناه أمه بنتا لكثرة ما لديها من أولاد، وحين جاء ولد آخر عاملته كبنت لفرط رغبتها في واحدة وهكذا تبنى السلوك الأنثوي الذي سبب له اضطرابا في هويته الجنسية. ولكن في حالة مختلفة ولد الطفل الوليد آية في الجمال فعامله الجميع كبنت في ملابسه وطريقة الكلام معه لشدة جماله ونعومته، ولكن بمجرد البلوغ أدرك رجولته وتغير سلوكه تبعا لذلك، أي انتشل نفسه من الانحراف بواسطة الوعي والإرادة بالرغم من تربيته الخاطئة.

لعل هذا يقودنا إلى قضية هامة وهي كيف ومتى يعرف الفرد أنه لوطي/سحاقية؟ فلو لم يُخلق الفرد بمشكلة خلقية وكان سليما من الناحية الجنسية، كيف يعرف أنه يمكن أن يكون شاذا/ شاذة. فهناك موقف معين، حادثة، التقاء بشخص ما، وقت محدد يكتشف فيه الفرد أنه يمكن أن يتحوّل إلى شاذ/شاذة.

يوضح لنا المثال التالي كيف أن الالتقاء بشخص معين في ظروف محددة يساعد على اكتشاف الرغبة الدفينة الكامنة لممارسة الشذوذ وإن لم يتخيل ذلك من قبل. قالت إحدى الموظفات إنها التقت بامرأة ثرية أعجبت بجمالها وتبادلا أرقام الهواتف. اتصلت بها المرأة الثرية بعد فترة ودعتها إلى منزلها وقالت إن لديها وظيفة "سكرتيرة خاصة" لها ستخصص لها جناحا في منزلها وراتبا أضعاف ما تتقاضاه الآن. قبلت المرأة تحت تأثير المغريات دون علمها ما في

نية المرأة الثرية تجاهها. ثم بدأت بشراء الهدايا والملابس الغالية لها، وكانت تتأملها بإعجاب وهي ترتدي الملابس أمامها. ذات يوم وهما تجلسان معا وضعت شريط فيديو خليعا لامرأتين تمارسان الجنس، التفتت إليها وكانت قد تغيرت ملامحها وشعرت هي بنفس الشعور، وهكذا بدأتا تمارسان الجنس وتقلدان ما جاء في الفيلم، واستمرت علاقتهما السحاقية حتى اليوم.

أما المرأة في هذه الفئة، فتتحدث وتتحرك بشكل ذكري خشن، ترتدي الملابس الرجالية لكنها تعتبر امرأة طبيعية فيما يخص أعضاءها الجنسية. أيضا يعبر د. حسني الفار قائلا: (قد تعمد الأنثى التي لا ترضى عن جنسها للتحول إلى ذكر بمظهرها الخارجي، وتشعر بأنها رجل محبوس في جسد امرأة فترتدي ملابس الرجال كالبنطلون والقميص وتقصر شعرها وتحاول أن تخفي صدرها وأردافها..). حدّثتني إحدى الطالبات عن صديقة "غريبة" قوية خشنة تملك ثقة عالية بالنفس معجبة جدا بها وتعتبرها نموذجا مختلفا انبهرت به، وشجعها على الاقتراب منها إعجاب الأخرى بها علما بأنها – الطالبة – على العكس تماما إنسانة طبيعية ناعمة ورقيقة محجبة وملتزمة. حكت لي كيف تأتي الصديقة لزيارتها في غرفتها وتمتدح وجهها وجسمها وبدأت تلامسها تدريجيا ولم تمانع في ذلك حتى بدأت تطلب منها التعري والاستلقاء بجانبها، لكنها رفضت بشدة وقللت من لقاءاتها بها. ثم عادت لتخبرني أنها عادت إلى صديقتها غريبة الأطوار التي صارت تستخدمها لإنهاء مصالحها

الخاصة ومعاملتها بصورة غير مباشرة، وحين عجزت الصديقة عن الحصول على المتعة الجنسية معها أوجدت طرقا أخرى للاستفادة منها دون احترام لذاتها أو لقيمتها الإنسانية أو للصداقة.

كما قرأت القصة التالية التي حدثت في إحدى المدارس الأجنبية: حكت الابنة لأمها عن طالبة "مختلفة" تتسم بالرجولة معجبة بها وتتبعها ثم قامت بإغداق الهدايا الثمينة عليها لكسب حبها وثقتها. ذات يوم عادت الابنة غاضبة ورمت كل الهدايا معبرة عن ذلك بأنها لن تشتريها الطالبة بفلوسها. ثم فصلت الطالبة المذكورة لسلوكها اللاأخلاقي مع البنات في المدرسة.

قد تكره بعض النساء جسدها الأنثوي وتشعر بأنها تمقته ولا تنتمي إليه وترغب في إخفائه أو التخلص منه، وقد يعود ذلك إلى اضطرابات في الهرمونات. تحدثت في إطار إعدادي لهذه الدراسة لفتاة (ز. 26 عاما) التي قالت إنها امرأة تتمتع بجسد أنثوي وملامح مقبولة لكنها لا تشعر بأنها امرأة. كما عبرت عن تجاهل أمها لأنوثتها والاهتمام بها وتنبيهها لها سواء بالاهتمام بمظهرها أو بملابسها أو بتسريحة شعرها..إلخ. فغالبا ما ترتدي الملابس الفضفاضة الخشنة غير المتناسقة وتترك شعرها غير مرتب وترفض الماكياج، مما ضخّم لديها انعدام الشعور بأنوثتها. لعل خطأ الأم هنا يعود إلى الجهل أو اللامبالاة، أو قد يعود إلى سلوك انتقامي يكون بمثابة رد فعل لمعاملة الزوج السيئة مثلا أو مجرد تعبير الأم عن كرهها لجسدها لأنه سمين أو غير متناسق، أو لسبب

آخر يعيق ارتياحها مع هويتها الجنسية، أو ربما بسبب كرهها لضعفها وخضوعها وقبولها للإهانة، كلها صور مختلفة لأسباب ممكنة قد تساهم في جعلها تهمل أنوثة ابنتها.

فئة ب)

الرجل الذي يفعل كل ما سبق وصفه في (فئة أ) لكنه يمارس الجنس مع رجل من جنسه فقط، والمرأة كذلك تنطبق عليها كل الصفات السابقة إضافة إلى أنها تمارس الجنس مع امرأة مثلها فقط.

ونضيف هنا أن في العلاقة بين شاذين يقوم أحدهما بدور الرجل في العلاقة، فيبدو شكله كرجل طبيعي من حيث صفات الرجولة والخشونة، بينما يقوم شريكه في العلاقة بدور الأنثى فيبدو بمظهر أنثوي، كأن يتمتع بالنعومة مثلا والرقة وقد يميل إلى ارتداء الملابس الأنثوية الداخلية أو الخارجية. أما في حالة العلاقة بين شاذتين، تقوم إحداهما بدور الذكر في العلاقة فتبدو مسترجلة بمظهر خشن، تميل مثلا إلى ارتداء الملابس الرجالية وتحتفظ بشعرها قصيرا، بينما تحافظ الأخرى في العلاقة على مظهرها الأنثوي الطبيعي كونها تلعب دور الأنثى في العلاقة. تعتقد بعض النساء أنها بتمثيلها لدور الرجل في علاقة السحاق إنما تساهم في إيجاد نموذج إيجابي لرجل قد يكون مغايراً للنماذج السلبية التي عرفتها وتعاملت معها (الأب، الأخ، ابن العم، الزوج، الرئيس في العمل)، لذلك يبدع بعضهن ويتفانى في إنجاح هذا الدور الذكوري،

بتوفير الحب والحنان والصدق لشريكتها في العلاقة. أي أنها تخلق نموذجا تصممه كما تشاء بحسب معايير معينة ثم تنفذه وتقوم بتمثيله. علما بتخلص عدد من الشواذ اليوم من فكرة التعبير الظاهري المعاكس أي أن عدداً كبيراً من الرجال الشواذ اليوم يبدو خارجيا كرجل عادي طبيعي متكامل، لكنه واقعيا يعشق الرجال، وكذلك بالنسبة إلى المرأة. ويختار الشاذ هنا شريكه/شريكتها بحسب صفات محددة تتناسب وذوقه أو ميله وصورة المعشوق.

تقول الحالة السابقة (ز. 26 عاما) معبرة عن محبة صديقة لها (46 عاما، متزوجة) أنها تعشق صوتها وتذوب في سماعه، وأنها تجاوبت معها في العلاقة، لكن حين كلمتها عن الجنس أجابت الأخرى بأنه لزوجها فقط، مما سبب لها الإحباط والحزن. شرحت ولعها بالتغيير وعدم الاستقرار بقولها: إنها تحب تغيير الوظائف والتنقل من مكان إلى آخر وتحب التحدي والنجاح في العمل، وإن ذلك يُشعِرها بالقوة وينمي شخصيتها وإرادتها ويعلمها الشجاعة وأن لا تخاف من أحد. وقد عملت في دار حضانة في إحدى المرات وعشقت الناظرة هناك وتعلقت بها إلى لدرجة أنها استمرت معها لست سنوات. وكان يكفيها المرور لرؤية وجهها من بعيد وأحيانا تكلمها. أكملت بقولها إنها تتمنى لو تحضنها وتقبّلها، وتشعر برغبة في أن تتزوجها أو تعيش معها. وأفادت بأنها تتخلص من الإحباط والشوق الشديد لممارسة العادة السرية.

إن كمية المشاعر الجياشة مدهشة ومقدار الحب الذي تبثه (ز.) للأخرى كبير وعميق، "إن أهم شيء في عيشنا معا هو الفرح اليومي الذي يحمله إلينا الحب.."[1]. إضافة إلى أن تقوم (ز.) بتغيير المكان والوظيفة كلما واجهت عائقا أمام مشاعرها كتهرب أو صد من الأخرى مثلا، فتترك العمل بحثا عن مغامرة وإثارة وعشق جديد.

فئة ج)

الرجل الذي يمارس الجنس مع الرجال والنساء معا، والمرأة التي تمارس الجنس مع الجنسين أيضا، مثل أن يكون الرجل متزوجاً ولكن لديه ميول شاذة نحو الرجال. أما في حالة المرأة المتزوجة التي تعشق ممارسة الجنس مع النساء، فقد عبرت إحداهن أنها مع امرأة مثلها تحصل على متعة جنسية كاملة لا تحصل عليها مع رجل، فهي مع المرأة لا تمر بأي صورة من صور المهانة وتحتفظ بكامل إنسانيتها أثناء الممارسة الجنسية. هي تشعر بأنها متساوية إنسانيا وعاطفيا وجنسيا مع الشريكة من دون تنافس أو صراع أو تقسيم أدوار، فالمزايا الجسمانية واحدة والأدوار متساوية، " كانت تقول إحدانا: لا أدري فعلا ما إذا كنت أنوي الذهاب إلى حفلة العشاء هذه، أو لا أنوي، فما رأيك أنتِ؟ ثم نتساءل بعد ذلك عما نحس به أثناء المناقشات. وعندما كنا نختلف، وتبدأ إحدانا

(1) هايت، شير. النساء والحب، دار المدى، سوريا، 1997، ص. 438.

بالتذمر من موقف الأخرى، كانت تقول لها: أوضحي ما يدور برأسك، وأوضحي عما يعتلج في أعماقك"[1].

أما الجزء الآخر من المتزوجين رجالا ونساء الذين يهوى بعضهم ممارسة الجنس مع الجنسين (Bisexual) فغالبا ما يكون ذلك حبا في التغيير والتنويع لأنهم يرون أن ممارسة الجنس مع الأزواج فقط توفر متعة محدودة روتينية مكررة تصبح مألوفة واعتيادية، وبعد وقت معين يشتاق بعدها الفرد منهم إلى تغيير النمط والوضع بحثا عن متع جديدة مغايرة، هذا بعد أن يكون الزوج مثلا قد خان زوجته مع عشرات النساء وتعرفت الزوجة على رجل – أو رجال – غير زوجها، بعد ذلك يبدأ التفكير في علاقة شاذة. البعض عبر عن ذلك بأنه لا يمر بالضرورة بمرحلة خيانة الزوجة مع مثيلاتها بل يلجأ إلى علاقة الشذوذ فورا، لوجود ميل طبيعي لديه تجاه الرجل مثلا، أو ميل طبيعي تجاه النساء في حالة الزوجة. كما يعتقد الزوج في بعض الأحيان أن وجود عشيق في حياته وممارسة الجنس معه يساعده على بعث الحرارة في حياته الزوجية، أي أنه بسبب ممارسته للجنس مع عشيق رجل يجد نفسه مقبلا على زوجته جنسيا اكثر من حالة عدم وجود عشيق في حياته.

وجد الباحث لود همفريز (غرف الشاي: الجنس غير الشخصي في الأماكن العامة) أن 54٪ ممن يمارسون الشذوذ هم أشخاص

(1) المرجع السابق، ص 433

متزوجون يعيشون مع زوجاتهم بصورة طبيعية، يشرح ذلك قائلا: إن أراد هؤلاء نوعا من النشاط الجنسي الذي يؤدي إلى القذف يكون له من الصبغة الاجتماعية قدر أكبر مما للاستمناء وأقل مما يكون في العلاقة الغرامية. يقصد الباحث هنا علاقة الشذوذ العابرة في دورات المياه العامة التي تكون مقابل أجر، لكن أهميتها تكمن في كون من يلجأ إليها أشخاص متزوجون. الفرد المتزوج هنا يسعى إلى نوع محدد من النشاط الجنسي يستطيع الفرد من خلاله أن يتحرر من مسؤولية العلاقة الغرامية والتزاماتها من جهة، تبعده عن نمطية ممارسة العادة السرية من جهة أخرى، وتكون إنسانية نوعا ما بمشاركة فرد آخر معه في العلاقة الجنسية لا يكون عشيقا ولا يكون زوجا/زوجة.

ثالثا: العادة السرية

العادة السرية هي "نشاط جنسي يقوم به شخص واحد، وهو نشاط ذو طبيعة سرية وذاتية منعزل عن الآخرين"[1]. كما أنها عبارة عن تفريغ شحنة التوتر الجنسي، وتبدأ في الطفولة أحيانا وتتطور في المراهقة ويمكن أن تستمر ولكن سرعان ما تنتهي لأن الفرد المعافى جنسيا يبدأ باكتشاف طرق ووسائل أخرى طبيعية وصحية للتوصل إلى متعة ونشوة أكمل. اعتبر كانط الأفعال الجنسية المثلية جريمة يقترفها الجسد ضد الطبيعة مثل العادة

(1) تورتوناتا، ج.، العادة السرية والهوية الجنسية للمرأة. ص 390.

السرية لأنها "مضادة للأهداف المرجوة من الإنسانية، تلك الأهداف الخاصة باستمرار النسل".[1] واعتبر القديس توماس الاكويني أن العادة السرية أسوأ من الزنى والاغتصاب.

للعادة السرية دور في جذب بعض النساء إلى السحاق، فهي تعتبر ممارسة تعتمد على استثارة الأعضاء الجنسية بالتلاعب بها أو لمسها وصولا إلى اللذة الجنسية المتاحة.

تنتشر هذه الممارسة بين الناس بشكل كبير (94٪ – كنزي) (97٪ بين الرجال و74٪ بين النساء – هاملتون)، تمارسها النساء من مرتين إلى ثلاث مرات شهريا ويمارسها الرجال من مرتين إلى ثلاث مرات أسبوعيا. علّلت (شرلوت بهلر) أن انتشار العادة السرية بين الرجال أكثر من النساء أن الحاسة الجنسية لدى الرجل مركزة في العضو التناسلي لكنها في النساء موزعة على جميع أجزاء الجسم. ونضيف خوف المرأة الشرقية من اكتشاف الأسرة والمجتمع لممارستها، وكونها تقع تحت ضغط العديد من العادات والتقاليد التي تنظر إليها كموضوع جنسي مصيره الزواج والإنجاب وكخطيئة ومركز للعيب والحرمة والشهوة وغيرها. كل هذه المسائل وغيرها تجعلها تخاف من جسدها ولا تفكر في لمسه أو العبث فيه.

هناك عدة آراء نفسية صحية خاصة بالعادة السرية نلخصها فيما يلي:

(1) كانط، محاضرات في الأخلاق، ص 170.

1 – الرأي المتطرف: يقول بضرورة نبذها ومعالجتها قبل أن تتحول إلى إدمان لأن من أضرارها الكبت والإصابة ببعض الأمراض العصبية، وعدم القدرة على التكيف جنسيا بعد الزواج. في هذا الإطار اشتكى لي أحد الرجال حديثي الزواج هاتفيا عن مشكلة تواجهه مع عروسه، وهي أنه كلما أراد أن يعاشرها تمنعت وتدلعت وانسحبت متوارية خلف باب الحمام، وهو يعتقد أنها تمارس العادة السرية كونها اعترفت له بكثرة ممارستها لها قبل الزواج. قال إنه يعتقد بأنها لا تستمتع جنسيا معه بقدر استمتاعها بممارسة العادة السرية وحدها بعد مراقبتها.

2 – الرأي المعتدل: مفاده أن أخطارها تكمن في الخوف من نتائجها مثل الشعور بالذنب والخطيئة والقذارة بعد الممارسة، وهي أحاسيس قد تؤدي إلى اضطراب النظام العصبي لنمو الشباب. أجاب أحد الأطباء المتخصصين في الأمراض التناسلية حين سألته حول هذا الموضوع أن السبب في عدم التوافق الجنسي بعد الزواج لممارسي العادة السرية هو الشعور بالذنب والخطيئة وعدم اللياقة في التوجه لتحقيق الذات.

أما بالنسبة إلى بعض النساء السحاقيات اللاتي مارسن العادة السرية في الصغر، فقد أفاد معظمهن أنهن بدأن ممارسة العادة السرية قبل بدء الدورة الشهرية. وغالبا ما تكون الممارسة كثيفة قبل

وبعد موعد الدورة، وأجمعت الكثيرات منهن أن اللذة فسيولوجية وسيكولوجية لأنها تجعل اللذة متمركزة في العضو التناسلي للمرأة من جهة، كما تتضمن خيالا هائلا يجعلها تطل على عوالم مصوّرة ومثيرة تعجز عن الوصول إليها مع رجل لأنها تكون مكبلة مقيدة بخجلها وخوفها ومحاسبتها المتواصلة للذات. يقول جولدمان: لو نفذت العادة السرية بخيال خصب ثري فإنها تعادل النشاط الجنسي الحقيقي وتعتبر بديلا له[1]. قالت إحداهن إن ممارسة العادة السرية تشعرها بأنها كبيرة وناضجة وقادرة على الحصول على اللذة والمتعة، وعبّرت أخرى أنها تستلذ مع جسدها أو "برفقة" جسدها دون الحاجة لآخر أو الانكشاف والتعري أمامه، ولعل هذا يسهّل عليها ممارسة السحاق لاحقا لأنها ستكون مع امرأة مثلها وبصحبة جسد أنثوي لا يختلف عن جسدها تعرفه تماما وتعرف مواطن اللذة فيه دون خجل أو شعور بالذنب والخطأ، دون التعرض لمواد وروائح جسد آخر ذكري غريب لا تعرفه وتخافه

(1) جولدمان، ا. جنس مجرد، ص 109.

رابعا: النماذج

أريد أن أسأل في هذا الجزء من الدراسة: لماذا يمكن أن تتجه المرأة السوية الطبيعية إلى ممارسة السحاق، ما هي الظروف التربوية والنفسية والاجتماعية والإنسانية التي تساهم في اتجاهها إلى مثل هذا السلوك الجنسي الشاذ؟

هناك عدة محاور تساهم في دفع المرأة الطبيعية ولكن ذات الصفات المحددة – كضعف الإرادة والشخصية، والمحبة للنساء أصلا – لممارسة السحاق بسبب ظروف قاسية وعنيفة، مثل العنف في المعاملة أو الاغتصاب أثناء المعاشرة الجنسية، التحرش الجنسي وغيرها علما بأن عددا من هؤلاء النساء لديه ميول عاطفي أو جنسي كامن ودفين للمرأة وليس للرجل يتم إيقاظه في الوقت المناسب، وحين تظهر امرأة معينة تُحرّك هذا الميول وتحييه. وتدريجيا تكره هذه المرأة الرجل لأنه صار يمثّل بالنسبة إليها نموذجا سلبيا مرتبطا بالألم والأذى، وتصبح المرأة – الشريكة هي البديل له والنموذج الإنساني والعاطفي الجديد الذي يمكن أن تتواصل وتتفاعل معه وتحبه وتمارس معه الجنس.

التحرش / الإيذاء

البنت البريئة مثلا التي تتعرض للتحرش الجنسي من غريب أو قريب كأبيها أو أخيها أو أي أحد آخر في أسرتها لاشك سيرتبط لديها نموذج الرجل بالوحشية والقسوة لأن التحرش نفسه يكون

قسرا ومن دون رضا العنصر الآخر/الضحية، إضافة إلى الخوف والقلق من حدوث اختراق للبكارة أو معرفة أحد من الأسرة بذلك. كذلك الشعور بالوحدة والاغتراب الحاد والنبذ والعزلة التي قد تدفعها للامتناع عن الأكل مثلا أو الكلام، كما يمكن أن تؤدي إلى كرهها لجسدها وعدم الانتماء إليه. والتحرش نوعان لفظيا بالكلام أو فعليا بالملامسة بدرجاتها المختلفة بدءاً بالمداعبة حتى الاختراق الكامل. هنا لاشك سترتبك علاقة المرأة بجسدها الذي كان الوسيلة التي من خلالها تم إلحاق الأذى بها، أي أن الجسد هو الضحية والسبب الذي جذب الرجل لإيقاع هذا الأذى، لذلك قد تكره جسدها وتعامله بقسوة كأن تملأه بالطعام أو تمنعه عنه محاوِلة تشويهه بالسمنة أو بالهزال أو بالإهمال، وقد تتجه إلى الخشونة والرياضة العنيفة مثلا لجعله صلب أو متماسك غير طري أو رقيق اعتقادا منها أنها ستقوم بتغيير شكل هذا الجسد الأنثوي الذي جلب لها المتاعب، أو وقد تتحوّل في بعض الحالات إلى إدمان الجنس كطريقة للهروب أو لنسيان الألم، وهي الحالة الأخطر حين تعتاد استخدامه كوسيلة إلى متع جنسية أو عاطفية أخرى مشابهة.

عبّر عدد من النساء عن ضيقهن الشديد مثلا حين ينظر إليهن رجل غريب في مكان عام بشهوانية أو حين يكلمها بلغة بذيئة، مما يدفعها إلى التغطية أو التراجع إلى الذات والانغلاق أو الانعزال وكره عالم الرجال عامة، وقد تتجه نتيجة لذلك تدريجيا إلى امرأة أخرى تبثّها خوفها أو ارتباكها النفسي. يقع هذا السلوك ضمن التحرش

الجنسي، وإن اقتصر على النظر لكنها ليست نظرة مجردة بل نظرة شهوانية متعمدة يطلقها الرجل قاصدا تعرية المرأة بعينيه، أي أن العينين هنا تحلان محل اليدين في قضية التحرش، اليدان تقومان باللمس بقصد تفحص الجسد، والعينان تقومان بالنظر المقصود بهدف التفحص أيضا، كلاهما يعتبر تحرشا، الأول باللمس عن طريق اليدين والثاني بصريا عن طريق العينين. أما المرأة فلا تهدد وجودها أو جسدها لأنها مشابهة لها وتعتبر مثيلتها ولا تمثّل لها مصدر خوف أو قلق كما هو الأمر مع الرجل، فنجد أنها تستطيع التحرك أمامها كما تشاء دون الخوف من الانكشاف أو التعبير، أي أنها تمارس إنسانيتها ووجودها بحرية وأصالة من دون تزييف. كلتاهما تثق في الأخرى وتبثها أسرارها، وترتفع نسبة الثقة والسرية بينهما بسبب إدراكهما ضرورة كتمان العلاقة وكل تفاصيلها بسبب خطورتها أولا، وحتى لا تخسر أي منهما الأخرى.

محور آخر قد يساهم في دفع المرأة إلى ممارسة السحاق هو العنف الذي تواجهه من الرجال المحيطين بها، الأب أو الأخ أو الزوج أو غيرهم، سواء بالضرب أو المعاملة السيئة أو الاغتصاب، في بعض الحالات نجد أن الزوج يمارس المعاشرة القسرية من دون رغبة الزوجة أو حتى علمها كأن تكون نائمة وتفاجأ به ينزع عنها ملابسها ويباشرها، أو أن يعاشرها أثناء الدورة الشهرية أو أثناء الولادة أو بعدها مباشرة، وتعتبر كلها صورا مهينة للجسد الذي لم يكن مستعدا على الإطلاق للفعل الجنسي، إضافة إلى غياب مرحلة

التهيئة النفسية والعاطفية التي أكّد عليها القرآن الكريم والسنة النبوية. كما يستخدم بعض الأزواج طرقا ووسائل جنسية غير سوية أثناء المعاشرة. الجنس هنا مرضي غير طبيعي لأنه يقوم على الأذى أصلا ولا يُشبِع سوى طرف واحد، بينما الطرف الثاني المرأة/الجسد/ الضحية مخدوشة بآلامها واضطراباتها النفسية. أي أن المرأة هنا تُستخدم كوسيلة أو وعاء لتفريغ مرض أو اضطراب نفسي أو شهوة أو انفعال.

حالة أخرى هي امرأة صغيرة في السن وجميلة بيعت لرجل كبير في السن ذي مركز هام وغني بالاتفاق مع والدها. بعد الزواج ظل فترة طويلة لا يقربها حتى فاجأها في يوم برجل في غرفة نومها وأمرها بالتمدد على الفراش بجانب الرجل الغريب على ظهرها والآخر على بطنه، وبعد معاشرته للرجل الموجود بجانبها على فراشها يستثار جنسيا وينتقل منه إليها مباشرة، أي يعاشرها فور معاشرته للرجل أمامها وعلى الفراش نفسه. ظلت الزوجة على هذه الحال من دون شكوى أو تذمر لأنها بحسب قولها اعتادت الأمر ولم يعد يعنيها، أي أصبحت قادرة على برمجة نفسها للتأقلم والانسجام مع الوضع. يُنتهَك جسد وإنسانية هذه المرأة البريئة علنا أمام رجل غريب وتحت أنظار زوجها بل وبأمره. جسدها يُنتهك عشرات المرات ليس جنسيا فقط بل إنسانيا وعاطفيا ووجوديا. إضافة إلى إمكانية إصابتها بمرض جنسي خاصة أن زوجها لا يغتسل بعد معاشرة عشيقه بل يعاشرها فورا بسبب الإثارة أو موجة الكهرباء التي

ترعشه بسبب معاشرة عشيقه، وتحكي امرأة متزوجة أخرى عن ضيف "خاص" لزوجها، كلما زاره دخلا في حجرة وأغلق الزوج الباب ثم يخرجان بعد حين وعلامات النشوة والإثارة على وجهيهما، استغربت الزوجة الأمر ودفعها فضولها ذات زيارة إلى النظر من فتحة قفل الباب بعد دخولهما الغرفة فوجدتهما عاريين يمارسان الفاحشة (اللواط).

وزوجة اعتاد زوجها على ضربها مرارا ثم تطور الأمر إلى ضربها أمام خدمها، وفي إحدى المرات ربطها بقوائم السرير وقام بضربها أمام خادمتيها اللتين تضحكان حينا وتبكيان حينا آخر. حين سألتها عن سبب سكوتها واستمرارها معه أفادت بأنه يشتري لها الهدايا، ويغدق عليها المال ولا يرفض لها طلبا مهما كان غاليا. أي أنه يشتري سكوتها بالمال والهدايا.

أضيف إلى كل ما سبق حالات العض والحرق والضرب التي يمارسها بعض الأزواج ضد زوجاتهم، وقد رأيت في ظل اللقاءات التي تم ترتيبها لإتمام هذه الدراسة بعض الآثار الحادة على أجساد النساء سواء العض في الذراع أو الساق، إضافة إلى آثار الشريط الكهربائي النايلون على ظهر وذراع إحداهن والحرق بالسيجارة وغيرها في مواضع مختلفة من الجسد، بعض هذه الآثار كان حادا إلى درجة تمزق النسيج اللحمي. تتخوف النسوة من الشكوى أو الاحتجاج خوفا من الطلاق أو من جحيم العودة إلى منزل أهلها وتحمل الإهانات والشتائم، أو خوفا من الفقر إذا كانت تعتمد على

إعالة زوجها لها وغيرها. أما إذا كانت المرأة مريضة نفسيا فإنها لاشك تستمتع وتستلذ بالضرب جنسيا كما عبّرت بعضهن.

ولكن للقضية جانب آخر هو أنه في بعض الحالات مثلا تكون المرأة أقوى من الرجل، وتطلب منه أو تفرض عليه ممارسة نمط من السلوك العنيف معها مثل الضرب أو الجلد أو غيرها من صور الإيذاء الجسدي ويذعن الرجل لذلك حتى لو كان غير موافق.

اطلعت في إطار الإعداد لهذه الدراسة على عدد من الحالات التي تعرضت للضرب بوحشية إلى درجة أن أحد الأزواج اقتلع حلمة ثدي زوجته بهدف إيذائها، وعدد من هؤلاء الأزواج يستلذ بالضرب لأنه سلوك عنيف يؤكد له ذكورته وسلطته وسطوته أو هيمنته التي يحتاج إليها ليكون "رجلا" اجتماعيا وليثبت لزوجته أنه أقوى منها وقادر على فعل ما يشاء بها، البعض الآخر ينتقم بصورة غير مباشرة بالضرب لو كانت هي في موقع أفضل منه ثقافيا أو علميا. قال أحد الأزواج (أ.ن.): "للرجل الشرقي والخليجي الصلاحيات لممارسة الضرب لكون الضرب صورة من صور الرجولة، وكيف سيحس الرجل برجولته إن لم يمارس مثل هذا العنف وممارسة السلطة على زوجته. كما يستلذ برؤية الزوجة ضعيفة بينما هو مصدر القوة، ولا بد أنها ستحس مع الوقت بشموخه وقوته وجبروته وامتلاكه للعزيمة وأنه "عمود البيت" وسيعجبها ذلك تدريجيا وستتقبله، كما أن قدرته على بث الرعب والذعر في المنزل تشعره بالنشوة وفرض احترامه عليها وعلى

الأبناء". أضاف أنه اقتدى بأبيه في هذا السلوك لأنه رآه يمارس هذا العنف في أسرته وهو صغير وكان بالنسبة إليه بطلا، كما كانت النتيجة أن أوامره مجابة تماما، فبمجرد تحريك رأسه تلبى طلباته فورا.

نموذج آخر (ش.ج): هي فتاة في الثامنة عشرة من عمرها تزوجت برجل يكبرها بخمس عشرة سنة، قام بضربها لأتفه الأسباب لأنها تعتبر طفلة في نظره بحاجة إلى تربية وتقويم كما يعاشرها بعنف إلى درجة أنه يسبب لها كدمات مما يشعره بلذة، وعندما لمّحت له بحاجتها للعلاج (ضربني بقوة لدرجة أنني تركت له البيت).

(ز. ن): طالبة دراسات عليا في جامعة الكويت. وصفت لي كيف يستلذ زوجها بمعاشرتها بعنف شديد (وكأنه يتحول إلى إنسان آخر). فيشد شعرها ويعضها في عنقها وأماكن أخرى ويجذبها بقوة فجأة ثم يرميها على الأرض ويقفز فوقها منقضا عليها بشدة. ثم كيف مرا بخلافات عديدة بسبب زوجة أخرى واضطرا إلى الانفصال لكنه توسل إليها مرات عديدة للرجوع إليه مذكّرا إياها بتلك اللحظات العاطفية والجنسية الحارة التي قضياها معا، معبرا انه يعجز عن معاشرة زوجته الأخرى بنفس الطريقة وأنه يريدها ثانية ليكررا ذلك "الحب" من جديد معا، والغريب أنها أبدت رغبتها الخفية في ذلك أيضا.

لا نغفل هنا المرأة "المريضة" التي تستفز الرجل عن عمد لأنها تريد وتحب الضرب/ وترغب في ممارسة دور الضحية أو تريد أن تشعر بأن زوجها قوي و"قادر" وهي تستمتع جنسيا حين يعاشرها رجل من هذا النوع كما تطلب بعض النساء من الرجل أن يضربها، ولو كان ذلك مخالفا لطبيعته وضد رغبته ومبادئه وهذا مثال استثنائي.

قضية أخرى متصلة بموضوع الضرب هي: ضرب الزوج للزوجة أمام الأبناء وآثاره المبرحة التي تؤثر بعمق، وقد تؤدي سلوكيا إلى انحراف الأبناء وأخلاقيا إلى فقدان القدوة الحسنة الصحيحة. قالت إحدى الزوجات إنها عاشت عشرين سنة مع زوجها وعندها منه ثمانية أبناء، ومنذ زواجهما وهو يضربها بسبب وبدون سبب أمام الأبناء الذين كانوا يخافون ويصابون بالهلع لمجرد دخوله البيت. قالت إن أسلوب الضرب الوحشي الذي يقوم به يسبب لها مشكلة في المرارة وكسرا في الأنف وعطلا في طبلة الأذن اليمنى من شدة وكثرة توجيه الصفعات إليها. وقد شجعها أكثر من طبيب عند الاطلاع طبيا على آثار الضرب على جسدها، على تقديم بلاغ ضده وعمل تقرير دون جدوى لأنه كما قالت "أبو العيال، والعشرة لا تهون إلا على ابن الحرام". وتساهلت وتهاونت بسبب ضعف الشخصية والانكسار أمام الذات حتى كبر الأبناء وعجزوا عن احترامها، صار البعض يهدد بشكواها للأب حين ترفض تنفيذ طلب له، كما فشل أحد أبنائها في الدراسة ورسب مرات عدة حتى طُرد

من المدرسة والتحق بحياة الشوارع وأتقنها. وانحرف بعض بناتها مما نتج عنه فقدان السيطرة عليهن تماما. حصلت على الطلاق أخيرا لكنها فقدت علاقة الود والسيطرة على معظم أبنائها.

حالة أخرى هي امرأة تقول إن زوجها بحاجة إلى علاج لأنه طيب وملتزم سلوكيا معها وزوج وأب محب في النهار لكنه حين يتناول الخمر ليلا يتحول إلى شخص آخر غريب مختلف، يصبح متوحشا متهورا يضربها لأتفه الأسباب أو بدون سبب أحيانا، كما يضرب أبناءه بطريقة غير مقبولة فيسحبهم من فراش النوم ليضربهم من دون ذنب. ثم يصحو صباحا غير مستنكر ما فعله ليلا.

النتيجة في كل حالات صور الضرب هي تضخم الشعور بانتهاك القيمة الجسمانية والإنسانية لدى بعض هؤلاء النساء وما يصاحبه من معاناة نفسية حادة تصاحبها عزلة أو عوارض أخرى كالسمنة أو الهزال، خاصة إذا لم تتوفر الفرصة المناسبة للتنفيس أو التعبير عما حدث خوفا من الفهم الخاطئ أو اللوم والشماتة مثلا. تشعر هذه المرأة المطعونة في جسدها وكرامتها وأنوثتها وإنسانيتها بضرورة إيجاد منفذ أو مخرج من مأساتها هذه، فتلجأ إلى البحث عن نموذج أنثوي عاطفي يزودها بالحنان والرحمة والحب والراحة النفسية التي هي في أمس الحاجة إليه، فتلجأ إلى صديقة تشاركها نفس المشاعر وتبثّها أحزانها وأسرارها، وقد تقف العلاقة عند حد الصداقة أو تتطور إلى المداعبة ثم الممارسة الجنسية. وقد لاحظت مقدار الحب الكبير والعاطفة الجياشة التي يمكن أن تجمع

بين امرأتين بسبب ما مرتا به من معاناة وحاجة كل منهما الماسة إلى الأخرى. **الشيء الوحيد الذي قد يصون المرأة من الانحدار لممارسة السحاق هو الأساس التربوي والديني والأخلاقي الذي تربّت عليه وتلقّته في الصغر. فبعض النساء يصبر ويستمد من الإيمان وممارسة العبادات السلوى والقوة على المثابرة والصمود دون التفكير للحظة في ممارسة السحاق. أما إذا كان الأساس الديني ضعيفا في مقابل حجم المعاناة التي يمكن أن تصاحبها الرغبة في الانتقام من النفس/الجسد/الذات كضحية أو من الشخص الذي سبّب لها الجرح (الزوج/الأب/الأخ)، بأن تخونه في عرضه علما بأننا سنفرد جزءا خاصا من هذه الدراسة لاغتصاب المحارم.**

لابد لنا الآن من التوقف قليلا عند نقطة هامة هي **الاعتماد على الوازع الديني أو الأخلاقي في ردع المرأة وإبعادها عن السحاق،** للقضية عدة جوانب. لاحظت نتيجة لمشاهداتي ولقاءاتي الخاصة بهذه الدراسة وقراءاتي أن بعض البنات اللاتي تربين في بيئة متشددة متزمتة يمكن أن ينحرفن للسحاق من دون أن تمنعهن تربيتهن الدينية من ذلك، فمعظم مشاهداتي في إطار السحاق كانت لبنات محجبات تماما، ومن السذاجة الاعتقاد أن الحجاب أو النقاب أو العباءة دليل على الإيمان أو التقوى، فقد تكون البنت مجبرة على ارتداء أي منها تحت أوامر الأهل أو الزوج أو بسبب الخوف أو الضعف أو لقلة ثقتها في نفسها أو كغطاء يتيح لها الحرية الكاملة لفعل ما تشاء. إنها في هذه

الحالة مضطرة إلى كبت مشاعر وأفكار أو آراء طبيعية في إطار مراحل العمر بسبب بيئتها المتزمتة، مما يدفعها لاحقا إلى البحث عن سبل للتنفيس عنها قد تكون غير سوية. وهذا يعني أنها في (خارجها) تخالف وتناقض (داخلها). أما البنت التي تربت في بيئة معتدلة توفرت فيها الأسس الدينية والأخلاقية جنبا إلى جنب مع حرية التعبير وتنمية الثقافة والذكاء فهي مستقيمة وملتزمة لأنها تمتلك الثقة في النفس، ولا تحتاج إلى وسائل غير سوية للتنفيس عن ما تكبت من مشاعر وأفكار، (الخارج) و(الداخل) لديها منسجمان ومتفقان. ولكن يمكن أن توجد لهذه القواعد استثناءات. إذن يمكن أن يمنع الأساس الديني المرأة من الانحراف إلى السحاق لو كان سليما وليس مغلقا متشددا ومتزمتا، لا تشعر المرأة في ظله بوضعها الطبيعي بل تضطر إلى أن تكبت مشاعرها وآراءها بسبب المنع والقمع والردع. سنعود إلى هذا في الفصل الثالث.

نحن لا نحاول هنا إيجاد مبررات لمشروعية السحاق بقدر ما نود تحليل سلوكها علميا في محاولة لوضع أسس منطقية نفسية اجتماعية لانجرافها إلى السحاق. أي أنها كانت امرأة طبيعية ثم تحوّلت إلى سحاقية بسبب هذه الظروف القاسية وبسبب غياب المستوى الأخلاقي والديني اللازم لحمايتها من ذلك، إضافة إلى أنها لم تمتلك الإرادة والشخصية القويتين واللازمتين لانتشالها من عذابها ومواجهتها له وتصحيح مسار حياتها.

السرية والعلانية

تتسم حياة السحاقيات بالسرية وذلك مطلوب ومحبب بالنسبة إليهن بسبب شعورهن التراكمي بالنبذ والعزلة الاجتماعية نتيجة لرفض المجتمع والعادات والتقاليد والدين لهن من جانب، وبسبب شعور من يحمل منهن شيئا من الوعي الأخلاقي والديني بالذنب والخطيئة وتكرار الندم والخوف من غضب الله والأهل والمجتمع نتيجة لسلوكهن السحاقي. لا نغفل هنا المتعة التي تبثها السرية في نفوسهن سواء بتزويدهن بالحرية الكاملة لممارسة كل ما تطيب لهن نفوسهن، ولكون الممارسة السرية تفترض تفوقا على الآخر: في صورة رقابة دينية، اجتماعية، أسرية وغيرها. فبينما العلنية تعكس تحديا مباشرا يتضمن إفصاحا ومواجهة، نجد أن السرية بالنسبة إلى السحاقيات هي تفوق يقوم على أساس الشعور بالانتقام واللذة الخاصين دون الحاجة للانكشاف والمواجهة. العلنية تعني إشراك الآخر وإدخاله في التجربة مما يفقدها الكثير من حرارتها وحميميتها ويقلل من الجرأة في فنية التفاصيل كون الآخر "يراقب". نجد أيضا أن السرية مطلوبة أحيانا في بعض الدول الغربية رغم الانفتاح وادعاء الحضارة والتحرر بسبب تحفظ وتعصب بعض العائلات. فقد قام بعض أولياء الأمور بطرد بناتهن بعد اكتشافهم لسلوكهن أو ميولهن السحاقية واضطرت بعض البنات إلى السكن مع الأصدقاء لفترات متقطعة.[1]

(1) Rothblum, Esther. Classics in Lesbian Studies. P 71.

حكت دكتورة في كلية العلوم الاجتماعية كيف ناداها ابنها لترى منظرا مثيرا في حمام السباحة الذي يتوسط الشقق في المجمع السكني الذي يسكنون فيه في منطقة صاخبة في الكويت. تقول إنها لم تصدق عينيها حين رأت فتاتين في وضع حميمي ساخن في الماء، كانتا تتبادلان الأحضان والقبل بشهوة عارمة غير منتبهتين أو مكترثتين لمن يحدق فيهما متناسيتين أنهما في مكان عام مكشوف. تكمن الخطورة هنا في علانية الممارسة السحاقية من خلال خدش الإحساس والتعدي على حريات الآخرين وتأثير هذه المشاهد في تنبيه المراهقين إلى تجارب جنسية مغايرة، ولفت انتباههم إلى أجسادهم وشهواتهم عامة بصورة غير سليمة ومبكرة.

كما لاحظت أن عددا من السحاقيات اليوم لا يتبنين المظهر الرجولي كما يشاع عنهن، إنما تبدو الواحدة منهن كامرأة طبيعية عادية منسجمة مع أنوثتها وتدرك جسدها بصورة هادئة متزنة لكنها تحب النساء بدل الرجال. ظهرت في الغرب موضة الملابس الغربية المختلفة كوسيلة للتعبير عن هوية السحاقيات في أواخر السبعينات وبداية الثمانينات، ثم بدأت بالاختفاء تدريجيا نظرا إلى انتشار ظاهرة الجماعات المثلية وانتقال السحاقيات للعيش معا ثم زواجهن وتبنيهن للأطفال. تعبر "بث" 16 عاما قائلة: لم أعد أرتدي الملابس التي تصورني كسحاقية، كنت في السابق ألبس باستمرار جاكيتة جلدية سوداء عليها عبارة (النساء قويات) وهاهي معلقة في خزانتي منذ أسابيع. أدركت أنني لست مضطرة إلى أن أوحي إلى الناس بأني

سحاقية تماما كما أن غير السحاقيات لا يوحين بملابسهن إلى ذلك". وقالت آن 17 عاما: "لا أعتقد أني مضطرة إلى تغيير مظهري حتى أبدو سحاقية، ولو كان هناك مظهر محدد للسحاقيات، فربما يكون الملابس المريحة والشعر القصير، وبالطبع ليس الكعب العالي".[1]

هناك مصطلح يستخدم في علاقة السحاق وهو أن تكون البنت "محجوزة" لأخرى. أي ملتزمة في العلاقة مع عشيقة واحدة محددة ومعروفة لجميع الرفيقات، وهذا يمنع الأخريات من إقامة علاقة معها، وأخرى تحب التنويع فتصادق أكثر من امرأة في آن واحد ويكون للأخرى حق التنويع كذلك لإثراء التجربة والخبرة الجنسية. علما بأنه يحدث زواج السحاقيات في الغرب، فقد تزوجت المغنية الصلعاء (شوغار لي هوبر) من عشيقتها (آندرين فان دركاب) وعقد قرانهما عمدة (كاتشينال). وكان قد تم التعارف بينهما حين كانت الأولى زوجة أخ الثانية ولهما أطفال من زواجهما الأول. لعل هذه القصة تذكرنا بما سبق لنا بحثه في كيفية إدراك المرأة لهويتها السحاقية، فبعد الالتقاء بامرأة معينة تشعر تجاهها بمشاعر قوية تكتشف معها أنها تحب النساء رغم زواجها وممارستها للأمومة.

(1) Rothblum, Classical, p 75.

أما الآثار السلبية لممارسة بعض النساء للسحاق في السر فهي كما يلي:

1 – خيانتها لزوجها لو كانت متزوجة وإهمالها لبيتها ورعاية أبنائها وزوجها، أو ممارستها للكذب والنفاق إذا كانت تعيش مع أهلها من أجل إخفاء الأمر عنهم.

2 – شعور المرأة الدفين والراسخ بممارستها لسلوك يخالف الدين والعرف والعادات والتقاليد في المجتمع، وما يترتب عليه من شعور ملحّ بالخطيئة.

3 – عدم تمكن المرأة من إعلان هويتها السحاقية وميولها أو عشقها لشريكتها يُشعِرها بالإحباط والكآبة ويعني أنها تعيش حياتين أو شخصيتين وهو أمر مَرَضي غير سوي، إضافة إلى أنه يعزلها اجتماعيا ويشتت انتباهها وتركيزها ويقلل من فرص إبداعها وإنتاجها.

4 – في أسوأ الحالات انهيار القيم والفضائل الأخلاقية البديهية وانهدام بيت الزوجية وضياع الأبناء في حالة الزوجة والأم التي تترك بيتها من أجل عشيقتها. على سبيل المثال، أخبرني دكتور نفساني عن حالة امرأة متزوجة ناضجة ولديها من زوجها أبناء، وكانت مستقرة حتى شعرت تدريجيا باندفاع تلقائي إلى امرأة أخرى، انسجمت الاثنتان في علاقة قوية قبل أن تلجأ إلى هذا الدكتور الفاضل لعرض قصتها

عليه. الغريب أنه يحاول مساعدتها قدر المستطاع لإقناعها بالعودة إلى حياتها الزوجية والأسرية، لكنها ترفض ذلك وتصر على حبها الطبيعي والحقيقي لهذه المرأة ورغبتها في بدء حياة جديدة معها وترك زوجها وأبنائها، أي أنها شعرت في مرحلة معينة من حياتها بالنفور من زوجها وربما لديها أسباب لذلك، وأحست بالرغبة العارمة لممارسة الجنس مع امرأة مثلها، بالرغم من علمها أن ذلك سيكلفها هدم أسرتها وتشتيت أبنائها الأبرياء.

أما إذا مارست العلاقة السحاقية في العلن فستخدش حياء وشعور الآخرين، وستُعاقب اجتماعيا بالعزل والنبذ والاحتقار أو إحدى العقوبات القانونية المناسبة الممكنة.

نموذج مختلف

امرأة تتحول إلى سحاقية بإرادتها دون وجود ظروف تدفعها إلى ذلك سوى الفضول أو حب التغيير أو جمع المال أو انسجامها النفسي مع هذا السلوك أو حبها الطبيعي ومتعتها الجنسية الناتجة عن معاشرة النساء. أي أنها تمارس السحاق لأسباب اختيارية تختارها بملء إرادتها وليست كنموذجنا السابق الخاص بالمرأة التي تنحرف إلى السحاق كنتيجة لمعاناة نفسية حادة. تعتقد بعض النساء بصورة خاطئة أن ممارسة السحاق إنما هي تعبير عن المدنية والتحرر أو التمرد ضد المجتمع أو وسيلة إلى الاختلاف والتميز، فقد تكون امرأة تنتمي إلى

عائلة مرفهة ماديا واجتماعيا مثلا مما يسهّل عليها الإطلاع على هذه السلوكيات من خلال السفر أو وسائل إعلامية معينة، إضافة إلى غياب الرقابة الأسرية أحيانا وتوفر الفرصة لممارسة مثل هذا السلوك الذي قد يُشبع لديها الشعور بالفوقية والتميز كونها تنتمي إلى طبقة عليا. أو قد تكون مثقفة متمردة مطلعة تلجأ إلى هذا السلوك كتعبير لرفضها تخلف المجتمع وتأخره الثقافي، وهناك المرأة الأديبة أو الفنانة الرقيقة الشفافة أو الخشنة المستقلة التي تضع قيمة جمالية عليا لجمال جسد المرأة كجسد متناسق فنيا وجميل وتود أن تتعمق في رؤاها الجمالية له فتتجه إلى السحاق. يحكي فيلم "سينارا، الشِعر متحركا" – كتابة وإخراج نيكول كون، فيديو وولف، 40 دقيقة، 1996 – قصة شاعرة خشنة المظهر متمردة ترتدي ملابس الرجال، ونحاتة ناعمة تذوب رقة وانعزالهما في مكان قرب البحر بعيدا عن الناس والمدنية بهدف الإنتاج الشعري/الفني المتميز وبحث كل منهما عن تجربة ما غريبة مثيرة، ثم تعارفهما بالصدفة واقترابهما من بعض، ثم زيادة تواصلهما وتعمق الصداقة التي تؤدي في نهاية الأمر إلى الحب وممارسة السحاق. عبرت في هذا الإطار بعض النساء أن ممارسة السحاق في الخفاء يزودهن بمتعة هائلة كونهن يعتقدن أنهن انتصرن على قيود المجتمع وقمعه لهن، وكأنهن تجاوزن ضعفهن وليونتهن وأصبحن نساء قويات. أيضا هناك أيضا نموذج المرأة التي تعيش بلا هدف، وتقود حياة فارغة عبثية، تقوم بتجريب كل شيء لأنه ينقصها الإيمان والأساس الأخلاقي، أي نجدها تنساق كالبهيمة خلف شهواتها من دون رادع، وقد تستخدم

جسدها للحصول على المتع الجنسية المختلفة بهدف التغيير وإثارة الحيوية في حياتها. إحدى الحالات كانت لفتاة جميلة اضطرتها الظروف المادية إلى الزواج بعد وفاة أبيها وهي في السادسة عشرة من زوج في الثالثة والستين ثم طلّقت منه بعد ثلاث سنوات. نتيجة الزواج كانت مائتي ألف دينار كويتي في حسابها الخاص، سيارة فخمة وبيتا. وتمارس اليوم الجنس مع الجنسين كنتيجة لكل التداعيات النفسية والاجتماعية التي تمخض عنها زواج غير سوي أخلاقيا مثل هذا.

قصة أخرى غريبة أخبرني بها طالب جامعي متزوج من اثنتين، زوجة أجنبية خشنة وعملية في مظهرها لا تحمل صفات أنثوية ظاهرة ويحبها بجنون، والأخرى كويتية عادية وأنثى بالمعنى التقليدي ويحبها أقل من الأولى. كلتاهما في مناصب علمية عليا ويسكن الجميع في بيت واحد كبير، ولكل منهما جناحها الخاص، وتعارفت الاثنتان وانسجمتا معا وأصبحتا صديقتين، الأمر الذي سهّل مهمة وحياة الزوج لانعدام الغيرة والمشاكل. ثم بدأتا في الخروج معا إلى السوق والسينما وممارسة النشاطات معا مما يدل على حب كل منهما لرفقة الأخرى. وعاد ذات يوم في موعد غير معتاد ليراهما معا في وضع حميمي عاطفي وجنسي على فراش واحد. أصيب بالصدمة وترك الأمر لفترة، وحين واجه الأجنبية دافعت عن حريتها الجنسية وحقها في جسدها والحصول على المتعة طالما أنها تعطيه حقوقه كاملة، بينما تهربت الكويتية من المواجهة وكانت تبكي منهارة كلما واجهها بالأمر. ثم قال إنه اكتشف متابعتهما لعلاقتهما الجنسية

السحاقية نتيجة لمراقبته المستمرة لهما. اختلاف الاستجابة بين الزوجتين له أكثر من مبرر، يقول مونتسكيو: (إن إنكليزيا وفرنسيا وإيطاليا تعني ثلاثة عقول).[1] فالأجنبية تنتمي إلى تراث وتاريخ يعلم الفرد الاستقلالية والتفرد والاكتفاء بالنفس والثقة بالنفس في مجتمع غربي يعتمد على المنافسة والكفاءة، بينما الكويتية تنتمي إلى تراث من العيب والخوف والخطيئة حتى لو اعتلت أعلى المناصب، فقد تلقت كل هذا التراث وتشربته ثقافيا منذ الصغر عبر التربية الأسرية والمدرسية والإعلامية.

وهناك حالة أخرى لزوج ذكر بأنه يعشق ممارسة الجنس مع زوجتيه اللتين تشاركانه المتعة والتجربة بذروتها. قال إنه يحب تأملهما، وكل منهما تعري الأخرى وتداعبها وتقبّلها وتمارس معها الجنس وأحيانا يشاركهما ويصل الثلاثة إلى قمة النشوة من خلال مشاركة وتبادل الجنس.

السحاق غير العاطفي:

نوع مغاير من السحاق هو الذي تمارسه المرأة من أجل المال، سواء أرادت شخصيا أم لا، أو استمتعت أم لا، هدفها الرئيسي ينصب على جمع المال أي أنها تستخدم جسدها كسلعة تعرضها لنساء أخريات يستمتعن بها في مقابل المال. العاطفة غائبة والعواطف مجردة لأن المرأة تؤدي مهنة أو وظيفة بدون أن تبادل

---

(1) مونتسكيو، أفكار ونبذ غير منشورة.

الأخرى مشاعر أو عاطفة من أي نوع. تبرير مثل هذه المرأة لسلوكها هذا هو أنها مؤمنة بأنها لا تفعل شيئا لا أخلاقيا كونها لا تمارس الجنس أو المداعبة مع الرجال، إنها تنكشف على نساء مثلها، ولا ترتكب حرام ولا تتجاوز أخلاقيا في ذلك – كما تقول – . ثم هي لا تفعل الحرام لأنها تحافظ على جسدها، هذا لو افترضنا أنها بكر ولا تسمح بتمادي الممارسة إلى حد الاختراق، أي تكتفي بالمداعبة واللمس والتقبيل والمص بدون دخول أي شيء إلى الفرج حفاظا على بكارتها، أما لو كانت متزوجة أو مطلقة فالأمر يختلف لأن بكارتها زالت أصلا ولا خوف عليها من ذلك.

سأتناول المثال التالي لهذا النوع من الشذوذ الذي تحدث عنه الباحث لود همغينز. يصف لنا المؤلف العالم الذي يحياه عدد من الشواذ الذين يتلقون متعتهم العابرة السريعة في دورات مياه محطات الباص أو القطارات أو الحدائق أو غيرها. يقوم الرجل الشاذ بعرض مص القضيب أو يقدم ممارسة كاملة في دقائق معدودات بأجر معين خلف باب موصد في كبينة دورة مياه في مكان عام. وهو عمل يلقى الكثير من الزبائن لسرعته وسمته العملية وكونه يحفظ للناس سريتهم ويمنحهم الجنس الفوري دون التورط في مشاعر الحب وإلحاح الالتزام ولواحق العلاقات التي لا وقت لها في عالم السرعة والتكنولوجيا الحديثة.

في إطار ممارسة السحاق الفوري في ظل علاقة غير شخصية وفي مقابل أجر، التقيت بالنموذج التالي: امرأة متعلمة منقبة شديدة

البياض يدل ما ظهر من عينيها الخضراوين وفتات ضوء شعرها الأشقر على جمال وحشي خارق، ولها ملامح جسم ضخم ممتلئ بتقاسيم أنثوية حادة. عبرت بأنها تقدم نفسها رهن الاستئجار، أي تقوم النسوة باستئجارها في الحفلات الخاصة بالنساء فقط. لكنها تتسلم نقودها قبل الحفل، ما يقارب السبعمائة دينار للحفلة الواحدة وغالبا ما تكون هذه الحفلات صباحية مراعاة لظروفها وحتى لا ينكشف أمرها. سألتها ماذا يحدث في الداخل، فأجابت: بحسب الطلب، وسألت: هل تقبلين بأي طلب أم أن هناك حدودا لما يمكن أن تفعلي، وعبّرت فورا: ولماذا الحدود إن كانت شريكتي امرأة مثلي!

أشار الفيلسوف الوجودي سيرن كير كجارد إلى المرحلة الحسية وهي أولى مراحل الحياة، ثم أقام بناء عليها الأساس لفلسفة وجودية حسية بدنية وأثار اهتمام بعض الوجوديين بتحليل العلاقات البدنية التي يستحيل فيها الجسم إلى مجرد لحم. يقول: إن في هذه المرحلة.يحيا الإنسان حياة شهوانية ينشد فيها المتعة واللذة[1].

في حالة هذا النموذج، نجد أن المرأة مطمئنة بأنها في مأمن من العار والشرف والعيب والحرام والزنى طالما أنها مع نساء مثلها. لقد قامت بإقناع نفسها أخلاقيا أنها لا تمارس الفاحشة أو الزنى لأن شريكتها في الممارسة الجنسية امرأة وليست رجلا. لاشك أن للضغط النفسي الذي يمارسه الإعلام والمجتمع دورا تربويا هاما

(1) شاروني، ح. فكرة الجسد في الفلسفة الوجودية، ط2، 1984، ص 64.

في زرع فكرة الخوف من الرجل والتعرض للتحرش أو الاغتصاب منذ الصغر، بينما تتعلم أنها لن تتعرض لمثل هذه الممارسات السلبية من المرأة إذ هي الصديقة والحبيبة التي تكون في أمان معها. أي أن الوعي الديني الذي يمكن أن يزودها بأساسيات الحرام والحلال غائب تماما، كما أن الوعي الأخلاقي منعدم، الذي يمكنها من فهم قيمتها الجسمانية واحترامها للذات، ويشعرها بتأنيب الضمير نتيجة لارتكاب الخطأ.

النموذج الأخير هو لفتاة تتجه إلى السحاق نتيجة لتعرضها لحالة اغتصاب من قريب أو غريب، وهو ما يسمى باغتصاب المحارم. إن الألم هنا مضاعف ومركّب لأنه يتجاوز المعاناة الجسمانية والنفسية إلى نوع من انهيار المبادئ والقيم والمثل العليا التي نشأت عليها الفتاة وتبنّتها وآمنت بها ومارستها. إن الجرح عميق لكونه يضرب في جذور اعتزازها بجسمها وانتمائها إليه فتكرهه أو تحاربه أو تنسلخ عنه فتمارس الرذيلة، كما يشعر عدد من هؤلاء أنها تتحول إلى إنسانة قذرة مشوهة أنثويا وأخلاقيا، فلِمَ لا تمارس الفاحشة طالما أن أحد أقربائها ارتكب خطأ لا يغتفر في حق جسدها وبراءتها وقيمتها؟!.

الفصل الثالث: الأسباب والآثار

أولا: الأسباب

الجانب الأسري التربوي

1 – غرس المبادئ الدينية والأخلاقية الثابتة والراسخة في البنت منذ الصغر، وربط هذه التعاليم بحياتها اليومية ومناقشتها وتحبيبها إلى نفسها بعيدا عن التلقين الرتيب أو الترهيب.

2 – أهمية انتباه الوالدين لكونهما يشكلان قدوة تتبعها وتقلدها وتقتدي بها البنت. فمثلا يمنع الأب البنت من الكذب ثم تراه يكذب على أصحابه، أو تمنعها الأم من التدخين ثم تدخن في غرفتها.

3 – التربية الناقصة التي تقتصر على زرع الخوف من الرجل فقط في نفس البنت لأنه القادر على إيقاع الأذى والاغتصاب والتسبب في فقدان العذرية والحمل..إلخ، دون التنبه إلى خطر امرأة على امرأة فيما يخص النظر والاشتهاء واللمس. فهذه البنت تنشأ دون رادع نفسي يمنعها من اشتهاء امرأة أو ممارسة الجنس معها وتؤمن بتبرير هذه الممارسة (لأنها امرأة مثلي) أو (لأنه ليس عيبا).

4 – نشوء البنت في أسرة معينة أحيانا يدفعها إلى الميل للسحاق، مثلا لو كانت الابنة الوحيدة بين عدد من الأولاد فتكتسب منهم الخشونة والعنف والشجاعة وغيرها من صفات صبيانية. أو إذا قام جدها بتربيتها فإنها تميل إلى

السلوك الرجالي. وأيضا لو نشأت في أسرة تكون المرأة/ الأم فيها أقوى من الرجل/الزوج، فتكون الآمر الناهي في البيت ويكون دورها هو الأبرز والأقوى. قد تميل البنت إلى اكتساب هذا الدور في حياتها في المستقبل مع شريكة لها.

5 – ابتعاد وانعزال الأهل والوالدين خاصة عن الأبناء وتركهم دون تواصل أو حوار أو رقابة. متابعة الأمور الخاصة وفتح حوارات ونقاشات متعددة عن أحوال الدراسة والأصحاب والجنس واللعب. تواصل الابنة والأم بصورة حميمية سرية حول الدورة الشهرية والأعضاء الجنسية والعادة السرية والزواج والحمل. نوم الصديقة مع الابنة مثلا كل عطلة وأخرى، هل هو أمر عادي ولا داعي إلى القلق وإثارة الشكوك حوله. أو حتى مراقبتهما من فترة لأخرى بهدوء أو سؤالهما عن نشاطاتهما في الغرفة، أو لماذا يغلقان الباب بالمفتاح من الداخل..إلخ.

6 – فرض رقابة معقولة على وسائل الإعلام التي تتعرض لها الابنة من تلفزيون ومجلات وإنترنت. لأنها تكون فريسة سهلة أمام عشرات البرامج الرخيصة المثيرة جنسيا والتي تستهدف المراهقين الذين يبحثون في هذه السن عن إجابات لأسئلة خاصة ومحرجة.

7 – المعاملة مسألة حساسة وذات حدين، فالرقابة الشديدة من جانب تنمي الكبت والفضول، أما التدليل والترف من جانب آخر فلهم سلبياتهم كذلك. فبعض الوالدين يجيب كل طلبات البنت من ملابس وأدوات وأموال مما يجعلها تفقد قيمة الأشياء والسعي لتحقيق أحلامها. فكل شيء يبدو سهلا، كما تتجه اهتماماتها إلى الشكل متناسية المظهر أو الجوهر مما يجعل منها شخصية سطحية تافهة.

8 – توفر المال أو المصروف الزائد يساعد البنت على التفكير في التقرب من شريكتها أو إغرائها بالهدايا. وأحيانا إذا نقص المال قد تقوم بالسرقة حتى تحقق طلبات شريكتها في العلاقة. وكذلك الحرية المهدرة في الخروج والدخول دون الاهتمام بسؤال البنت أين كانت ومع من وأحيانا عمل اختبارات صغيرة لمعرفة إن كانت تكذب أم لا.

9 – تنبه الأسرة إلى وجود خلل هرموني أو سلوكي لدى البنت والعمل على معالجته بالتدريج وبهدوء دون تعرض البنت للحرج أو الخوف. فظهور علامات خلل هرموني تتجسد في ظهور الشعر بوضوح في أماكن غير مرغوب فيها أو ضمور الصدر، وتحتاج الأم إلى شرح الأمر للبنت بهدوء وببساطة ثم بعد تهيئتها نفسيا وعقليا اصطحابها إلى مختص. أما الخلل السلوكي فنقصد بذلك ملاحظة الأهل لميل البنت إلى

السلوك الرجالي وقيامها بحركات ذكوريه واتباع نفس المنهج السابق في التعامل مع الموقف.

الجانب المدرسي التربوي

1 – المناهج المدرسية تقليدية وجامدة ونظرية بحتة وجافة ومملة بالنسبة إلى الطلبة. فمثلا الدين والفلسفة وعلم النفس تحتوي على كنوز في أسس التقوى والأخلاق وبناء الذات والعقل وكيفية التصرف وقوة الإرادة. أما إذا نظرنا إلى هذه المواد كمناهج مدرسية فسنجد أنها لا تشد اهتمام الطالب لا في المادة ولا في الطرح ولا ترتبط بحياة الطالب الفعلية. ونخص مادة الدين التي تتضمن تعاليم هامة عن الحلال والحرام والابتعاد عن ما يضعف إيمان الشخصية، ويخل بتوازنها وكيفية السيطرة على الشهوات.

2 – المدرسون كالأهل لهم دور إيجابي أحيانا وسلبي أحيانا أخرى. فبعض المدرسين يقومون بأداء روتيني جامد في تلقين الدرس وليس تعليم الطلبة أو التدريس لهم وكأنه يؤدي دورا آليا أو يؤدي دورا مرغما عليه. كما أن بعضهم يتسم بالعنف ويعتمد على الضرب كوسيلة للتعليم. علما بأن الدور الإيجابي للمدرس يجب أن يقوم على الأسلوب المحبب السهل والقريب من فهم وحياة الطلبة، مع تفعيل دورهم في الفصل وتشجيعهم على النقاش والحوار والتواصل من أجل

المساهمة والمساعدة في بناء شخصية الطالب وتمكينه من الفهم والجدال.

3 – عدم وجود مناهج مدرسية توعوية متجددة مرنة ومتطورة كمنهج حول: التربية الجنسية، يدرّس للمرحلة المتوسطة بأسلوب علمي مبسط يعلّم ويعرّف الطلبة جنسيا بالتدريج بما يتناسب مع مراحل تطورهم العقلية والجسمانية. ومنهج آخر في التربية الأخلاقية، يشرح مواقف حية وواقعية عن انضباط النفس وحدودها وكيفية الامتناع عن الخطأ وفهمه وتفاديه قبل وقوعه. ويشرح كذلك هذا المنهج مخاطر الجنس المحرم والمخدرات وغيرها.

الجانب الإعلامي

لاشك في أن للجهاز الإعلامي دورا كبيرا في توجيه وتشجيع الفرد على الانخراط في الفساد إذا لم يكن ثابت الإيمان، قوي الشخصية والإرادة ذا وعي ومسؤولية. فالقنوات الفضائية المتعددة ببرامجها المختلفة تنشر وتعرض الجنس مجانا بطرقه ووسائله وأدواته بل وتعلّم وتلقّن وتثقف الفرد بمنحه كل ما يريد من معلومات. أيضا هناك الإنترنت وهو مجال أوسع وأسهل وأكثر متعة ووسيلة إلى عمل صداقات ومحادثات سرية سهلة جدا خاصة مع غياب الرقابة الأسرية ولو كان الجهاز في غرفة البنت.

بعض الفتيات يسوّقن الجنس عبر قنوات وبرامج خاصة في الإنترنت، ويعرضن صورهن وطلباتهن في "الشريكة" مما يسهل الأمر في الالتقاء والتعارف.

وبعض العاملين في الصحف من مسؤولين وموظفين لا يمتلكون الأخلاق المهنية، لذلك نجدهم يتعاملون مع المادة الصحافية بهدف المال والثراء السريع دون مراعاة التأثير على الشباب أو تضليلهم، والأهم تزويدهم بمعلومات خاطئة عن الجنس والحب والخيانة..إلخ.

الجانب الاجتماعي

رفقة السوء أو الصحبة السيئة تساعد وتشجع على الفساد. وغالبا ما يكون هؤلاء أفرادا يحملون خبرات جنسية وعلاقات متعددة وهم فاقدون للحياء وعاجزون عن رؤية الطريق الصواب. يتصيدون السذج أو التائهين أو المهملين من أهلهم ويضعون خططا لكسب ثقتهم واستمالتهم للانحراف. مثلا في الجامعة، ألتقي أحيانا لأول مرة بطالبة بسيطة نقية ملتزمة وسرعان ما يلتف حولها جماعة الفاسدين والخائبين في دراستهم، وخلال فترة قصيرة لا أكاد أتعرف عليها من طريقة لبسها الفاضح أو سلوكها.

ثانيا: الآثار

ينتج عن الميل إلى السحاق وممارسته نتائج سلبية فقط منها:

الآثار الذاتية الفردية

1 – تشتت تفكير المرأة وشعورها بالضياع بسبب الكتمان والخوف من البوح بحقيقتها وحبها أو ممارستها للسحاق. أيضا اضطرارها إلى الكذب أحيانا لإخفاء مشاعرها ومعايشتها لشخصيتين، فهي تعطي أهلها والمجتمع الشخصية المقبولة التي يريدون وتعيش هي في الخفاء شخصية السحاقية، مما يعني ازدواجية الشخصية لديها وما يترتب عليه من اضطراب سلوكي ونفسي. وعدم انتمائها، إلى مجموعتها من البنات في سنها وإلى مجتمعها وإلى أسرتها بسبب طبيعتها المختلفة ومشاعرها المتناقضة بين حب الحبيبة والخوف من فقدان حب الأسرة. ويلحق ذلك الشعور بالكآبة والعزلة والوحدة وكثرة التفكير والتعطش للحب وللحنان، وعدم توفر من تحكي له عن تجربتها السحاقية مما يعمق الشعور بالوحدة والحرمان والتخبط في شأن المعلومات الخاطئة وغير العلمية المتوفرة في الإعلام عن السحاق.

2 – الغوص في المشاعر السابقة يربك التركيز العلمي ويعطل تحقيق الهوايات والإنتاج المدرسي، ويؤخر فرص التفوق والتميز والإبداع والعطاء في مجال العمل والمدرسة.

3 – قد تؤجل السحاقية فرص الزواج بسبب ارتباطها بحبيبة، ويؤدي ذلك إلى خلافات مع أهلها وتأخر فرصة ممارسة دور الأمومة بكل ما تحمله التجربة من إيجابيات كتعزيز الثقة

بالنفس وإمكانية التغير والتطور إلى الأفضل سلوكيا. كما يعني تأخير الزواج عدم تحقق الإشباع الجنسي الكامل الذي يعجز السحاق عن تحقيقه، مما يؤدي إلى الحرمان والتخبط العاطفي والجنسي بهدف ملء هذا الفراغ من الحرمان.

الآثار الأسرية

1 – يدب الخلاف والشقاق والحيرة في الأسرة التي تضم بنتا سحاقية بسبب المعارضة أو اختلاف وجهات النظر أو تباين طرق التعامل مع المشكلة.

2 – قد يؤدي انحراف المرأة للسحاق إلى هدم أسرة كاملة كما لو كانت متزوجة وقررت أن تهجر زوجها وبيتها وأبناءها من أجل العيش مع عشيقتها.

3 – تفكك وغياب القدوة الحسنة في المنزل وكيان الأسرة لو كانت السحاقية أماً، مما قد يشجع أو يتيح فرصة سهلة لانحراف الأبناء.

4 – غياب مفهوم الأسرة الصحيح في المجتمع بسبب وجود نساء يعشقن نساء مثلهن وقد يعشن مع بعضهن، مما يغيب مفهوم الأسرة الصحيح في الدين الإسلامي التي تتكون من زوج وزوجة وأبناء.

الآثار الاجتماعية

1 – بسبب تراكم الهموم على المرأة السحاقية كنتيجة لكل ما سبق من ظروف نفسية، تتحول إلى فرد غير منتج أو مبدع مما يؤدي إلى تأخر تقدم المجتمع وتطوره وتراجع نسبة التفوق والتميز والإبداع.

2 – غياب مفهوم الأسرة وتفككها يؤدي إلى زعزعة النظام والأمن والاستقرار في المجتمع.

3 – قد تزيد معدلات الانتحار بسبب تأزم الحالة النفسية للسحاقية، أو يزيد معدل الجريمة كنتيجة لاكتشاف الزوج أو الأب لممارسة زوجته/ابنته السحاق، أو قتل الزوج لزوجته بعد أن اكتشافه لخيانتها له مع عشيقتها أو حين تهجره من أجلها أو لتعيش معها.

4 – زيادة انحراف الأبناء أو تحولهم إلى السرقة أو البغاء أو غيرهم نتيجة لتفكك الأسرة وغياب الرقابة والقدوة الحسنة.

الفصل الرابع: استبيان

مقدمة

تلعب الظروف النفسية والاجتماعية دورا أساسيا في تكوين شخصية الفرد داخل المجتمع. وللبيئة دورها أيضا في هذا الشأن، والمرأة في المجتمع الخليجي عموما – والكويتي خصوصا – مرّت بظروف بالغة التعقيد. كان ذلك في الفترة السابقة على مرحلة الطفرة النفطية. أو من خلال التغير في نمط الحياة بعد مرحلة الطفرة النفطية. وهذه التغيرات أثرت مباشرة أحيانا على وضع المرأة، وأنتجت لاحقا تأثيرات غير مباشرة على وضعها. فبعد الدور الرئيسي الذي كانت تلعبه في الأسرة والمجتمع في مرحلة ما قبل النفط، وجدت نفسها فجأة تتحول من عضو فعال عامل في المجتمع (أثناء فترة الغوص والسفر بهدف التجارة حيث كانت تتولى شؤون المنزل والأسرة كاملة) إلى لعب دور محدود جدا يتمثل في الاعتماد الكلي على الخدم والمعاونين، إضافة إلى عدم توضيح دورها في المجتمع من خلال التخطيط لمساهمتها في الحياة العامة. فالمرأة تعلّمت ودخلت سوق العمل، لكن ذلك بقي إلى حد كبير بلا هدف واضح – مما أنتج تاليا حلقة مفقودة في التواصل الإيجابي مع الحياة.

من جانب آخر، نجد أن العادات والتقاليد وعملية التوفيق بينها وبين دور المرأة جعلها تنكمش على ذاتها. وتضيّق دائرة علاقتها بالمجتمع من نواح عدة. إضافة إلى الإطار الاجتماعي المعد مسبقا الذي يخطط لها كيف تكون مقبولة اجتماعيا، كل هذا ساعد على

زيادة عزلتها. مثلا، هي طبيبة تمارس دورها المهني في المساعدة على شفاء الناس، لكنها في الوقت ذاته محل شك فيما يتعلق بسلوكها الاجتماعي، وهي محامية تدافع عن جميع الناس، ولكنها في الوقت ذاته لا تستطيع الدفاع عن ذاتها أمام أي اتهام يوجّه إليها، حتى لو كان هذا الاتهام قد صدر عن شخصية لا يعتد بها، أو إذا جاءها من قاصر مثلا.

هذا الدور المركّب للمرأة أنتج على هامشه الكثير من الظواهر السلبية، أكان ذلك في الماضي من خلال فترة الحرمان الطويلة من ممارسة دورها الرئيسي في الحياة أم الآن من خلال الازدواجية في التعامل معها. ومن هذه الظواهر ظاهرة انغلاق المرأة على ذاتها ودخولها في نفق شبه معتم في عمل موازنة خاصة بكيفية التوفيق بين العام والخاص، لاسيما أن الطفرة النفطية أدّت إلى نشوء ازدواجية في السلوك الاجتماعي تقوم على الظهور بمظهر المتماشي مع العصر والمتجاوز لمشكلات الماضي، وفي الوقت عينه المحافظة على العادات والتقاليد والشكل الفاضل والمحافظ. ولاحظنا أن ذلك تزامن مع تراجع في مشروع التثقيف الاجتماعي الحقيقي وتطوير المناهج التربوية بما يتناسب والتغيير، بحيث يتم تأسيس شخصية سليمة نفسيا للمرأة في المرحلة الجديدة. فبينما تُهمل المشكلات الاجتماعية، يلعب قانون العيب و"التابو"الدور الأساسي في عدم تسليط الضوء عليها وعالجتها بدلا من إهمالها، الأمر الذي أدى إلى تفاقم المشكلات وتزايدها وظهور مشكلات أخرى مترتبة عليها. إن

عملية العلاج العلمي لهذه المشكلات يشبه مشرط الطبيب المتخصص الذي يخلّص الجسد المريض من التقيح والصديد ليتعافى وتسري فيه الحياة من جديد.

المرأة هنا وجدت نفسها ضحية لهذا التطور من دون أن تُعطى فرصة لإثبات ذاتها بالشكل الحقيقي الواقعي والعادل. وبدأت تعيش غربة داخلية وخاصة بعد ارتفاع معدل العنوسة والطلاق. ولأن المجتمع ينظر إلى المطلّقة على أنها مذنبة أو أنها تتحمّل المسؤولية الرئيسية في فشل الزواج، ولأن العانس تدخل مرحلة أشبه بالسجن وتُعامل "كمشتبه فيه" في حال أقدمت على فعل لا يستسيغه المحيط، تظهر فرص إقامة العلاقات المثلية، وبالرغم من أنها قد تُفهم كصداقة نسوية بريئة وآمنة، إلا أنها تتضمن مخاطر هائلة، خاصة في ظل غياب التوعية الدينية والثقافية والعلمية اللازمة بهذا الشأن.

دوافع الاستبيان وتوزيع الأسئلة

إن عامل الخجل يلعب دوره الأساسي في مجتمعاتنا، ويُتوقّع دائما من المرأة ويكون مطلوبا في سلوكها عامة حتى يقبلها المجتمع والناس. وفي حال معالجة موضوع السحاق الحساس اجتماعيا إلى درجة كبيرة، وجدنا أن الأسئلة لا يمكن أن توضع بشكل مباشر في الاستبيان كأن نسأل: هل أنت سحاقية؟ مثلا لأن ذلك سيكون منفّرا وجارحا، إضافة إلى أن مجتمعنا لم يعتد حتى

الآن على استطلاعات الرأي، لذلك وضعنا الأسئلة على أساس تسليط الضوء على المشكلة قبل حدوثها، وهذا الأمر يدخل في صلب فلسفة الأخلاق التي أقوم بتدريسها في الجامعة، أي العمل على كشف بذور الميل نحو هذا الموضوع وطرحه للعلاج حتى لا تتحوّل مستقبلا إلى مشكلة، فجاءت الأسئلة على النحو التالي.

أسئلة الاستبيان:

1 – هل تعرفين ما هو السحاق؟

2 – هل لديك فضول لمعرفة السحاق ومتابعته؟

3 – هل سمعت قصصا/معلومات عن السحاق؟

4 – هل رأيت مشاهد/مواقف تجسد معنى السحاق؟

5 – هل كانت إحدى فتيات عائلتك/أقربائك أو صديقاتك سحاقية؟

6 – هل تعتقدين أن الصديقة هي نفس الحبيبة؟

7 – هل كان لديك إعجاب لزميلة/صديقة في المدرسة؟

8 – هل كان لديك ميل إلى محبة صديقة/مدرسة في فترة المراهقة؟

9 – هل تشعرين بأهمية تكوين صداقة/علاقة مع امرأة؟

10 – لولا معارضة الدين والمجتمع للسحاق، هل كنت ستوافقين عليه؟

11 – لولا معارضة الدين والمجتمع للسحاق، هل كنت ستحبين امرأة؟

12 – لولا معارضة الدين والمجتمع للسحاق، هل كنت ستعلنين هذا الحب؟

13 – لولا معارضة الدين والمجتمع للسحاق، هل كنت ستمارسينه؟

14 – هل تعتقدين بوجود ميل لديك إلى مصادقة النساء؟

15 – هل تعتقدين بوجود ميل لديك إلى محبة النساء؟

16 – هل تعتقدين بوجود ميل إلى النساء تحاولين كبته/منعه؟

17 – هل تؤيدين الحديث عن السحاق إعلاميا وتربويا وعلميا؟

18 – هل تؤيدين توضيح عيوب/مخاطر السحاق إعلاميا وتربويا بهدف توعية بناتنا ووضع الحلول؟

19 – هل كنت تعلمين بقوله صلى الله عليه وسلم: "السحاق زنى النساء بينهن"؟

20 – هل تساهم النسبة العالية للعنوسة والطلاق في المجتمع على انتشار السحاق؟

وزّعت الاستمارات على مئة امرأة، من دون أي ذكر للأسماء أو ما يدل على هويتهن من تفاصيل وكانت الإجابات كما يلي:

– في السؤال الأول، أجابت 76 امرأة من مئة بنعم.

– في السؤال الثاني، أجابت 59 من مئة بنعم.

– في السؤال الثالث، أجابت 87 من مئة بنعم.

- في السؤال الرابع، أجابت 43 من مئة بنعم.
- في السؤال الخامس، 6 نساء من مئة أجبن بنعم.
- في السؤال السادس، أجابت 36 من مئة بنعم.
- في السؤال السابع، أجابت 97 من مئة بنعم.
- في السؤال الثامن، أجابت 95 من مئة بنعم.
- في السؤال التاسع، أجابت 89 من مئة بنعم.
- في السؤال العاشر، أجابت 42 من مئة بنعم.
- في السؤال الحادي عشر، أجابت 53 من مئة بنعم.
- في السؤال الثاني عشر، أجابت 42 من مئة بنعم.
- في السؤال الثالث عشر، أجابت 23 من مئة بنعم.
- في السؤال الرابع عشر، أجابت 88 من مئة بنعم.
- في السؤال الخامس عشر، أجابت 60 من مئة بنعم.
- في السؤال السادس عشر، أجابت 79 من مئة بنعم.
- في السؤال السابع عشر، أجابت 70 من مئة بنعم.
- في السؤال الثامن عشر، أجابت 92 من مئة بنعم.
- في السؤال التاسع عشر، أجابت 24 من مئة بنعم.
- في السؤال العشرين، أجابت 56 من مئة بنعم.

تحليل أخلاقي:

في السؤال الأول، نسبة معقولة (76 من مئة) قلن بمعرفتهن السحاق، مما يدل على وعي وإدراك واهتمام لما يحدث في المجتمع، كما تدل هذه النسبة على جرأة في الطرح وإعلان هذه المعرفة. البقية إما تجاهلن هذه المعرفة أو خجلن منها واعتبرنها إدانة مثلاً، أو أنهن يجهلنها فعلاً.

في السؤال الثاني نجد تردد (59 من مئة) في اعتراف النساء بفضولهن تجاه موضوع السحاق والقراءة عنه ومتابعته لأنهن يدركن حساسية الموضوع وموقف المجتمع منه، كما أن بعضهن قد يعتبر الفضول شبه إدانة لهن وكأنهن يرغبن في المعرفة من أجل الممارسة.

في السؤال الثالث نجد أول مفارقة، فبالرغم من أن (59) فقط من مئة لديهن فضول لمعرفة السحاق ومتابعته إلا أن (87 من مئة) قد سمعن وقرأن معلومات عنه، علما بأن في الخمس سنوات الماضية كتب الكثير من المعلومات والتحقيقات عن الشذوذ الجنسي والسحاق في الصحف والمجلات. أي أن النساء شعرن بالخجل من إعلان اهتمامهن بالموضوع ومتابعة مواد عنه وكأنها معرفة مشينة ومعيبة.

ويؤكد خجل النساء من إعلان اهتمامهن من السحاق الإجابات على السؤال الرابع، إذ نجد نسبة أقل (43 من مئة) ممن سمعن قد

شاهدن مواقف تجسد السحاق. وكأنه ليس من العيب أن نسمع خاصة في مجتمع يقوم على الكلام والإشاعات وجلسات الشاي والدواوين، بينما من الخطأ أن نخصص الجهد والوقت للرؤية باعتبارها إدانة أكثر من الكلام والإنصات. أضف إلى ذلك أن الرؤية لمشاهد السحاق ربما حدثت أثناء السفر وليس بالضرورة في الإطار المحلي.

في السؤال الخامس نرى بعدا أكبر عن البوح بوجود سحاقية من الأهل أو الأسرة (6 من مئة) فقط نظرا لما يترتب عليه من تهمة سوء تربية وسمعة وتعريض الأسرة لخطر الإشاعات وغيرها. وترتفع السمة الإيجابية في وضوح مستوى الوعي والإدراك لدى النساء في السؤال السادس حين نجد نسبة قليلة (36 من مئة) تخلط بين الحبيبة والصديقة، بينما البقية مدركات للفرق بين علاقة الصديقة التي تقوم على الود والاحترام والمشاركة والمساعدة وبين علاقة الحبيبة التي تقوم على الحب والاندفاع والمشاعر القوية التي قد تتطور إلى ممارسة الجنس. ولعل هذا الوعي بالفرق بين العلاقتين يشير إلى خبرة في الحياة واطلاع عام، ويساند رأينا هذا نسبة (76) ممن يعرفن السحاق في السؤال الأول و(87) ممن سمعن معلومات عنه في السؤال الثاني.

في السؤال السابع، نجد تلقائية في الإجابة (97 من مئة) يعترفن بوجود ميل وإعجاب لمدرسة أو صديقة في فترة الطفولة، وهو أمر طبيعي وعفوي يتضمن براءة في المشاعر وابتعادا عن

الشبهة. ثم نجد استمرارية للتلقائية في التجاوب مع الأسئلة في السؤال التالي، الثامن (95 من مئة)، وتجاهل كلمة محبة وعدم التخوف منها وهو مؤشر إيجابي يدل على شجاعة وتصميم في الرأي. كما تدل هذه النسبة على أن البنت في مرحلة المراهقة تعيش حالة حرية وتمرد وفضول وتلقائية في السلوك والاستجابة، ولم تعتد على الزيف والكذب والنفاق، ولم تقيدها بعد مخاوف المجتمع من عيب وخطأ وممنوع.

في السؤال التاسع، نسبة عالية (89 من مئة) من النساء تؤكد على أهمية وجود علاقة أو صداقة نسائية، ولا أعتقد أنه تنقص امرأة واحدة مثل هذه العلاقة إلا كحالة استثناء ولأسباب خاصة، وتحل الصديقة أحيانا محل الأخت للحرية في المصارحة والحاجة إلى المشاركة في التجارب والمساعدة وغيرها.

بدأت سلسلة أسئلة صعبة من السؤال العاشر حتى السؤال الثالث عشر تمثل تحديا وتتطلب جرأة في الخيال والتفاعل، فعبارة (لولا معارضة الدين والمجتمع..) تعني محاولة المرأة التخلي عن مخاوفها ومسؤوليتها الدينية والاجتماعية ومحاولة التخيل هل بإمكانها أن تفعل كذا لو لم يمانع الدين أو المجتمع، وهي مسألة صعبة لكنها هامة لأنها تعني محاولة الإمساك بمشاعر المرأة بعيدا عن خوفها وقلقها ومسؤوليتها بشأن الصورة التي يطلبها منها الدين والمجتمع. في السؤال العاشر لم تتمكن الكثير من النساء التخلص من هذه المخاوف (42 من مئة)، ترددت بقية النساء في قبول السحاق حتى مع افتراض

عدم ممانعة الدين والمجتمع، وهذا يعني أن رفض السحاق لدي الكثيرات (58 امرأة) ينبع أصلا من الخوف من استجابة الدين والمجتمع، وليس رفضه كفكرة وإنما رفضه كفكرة يرفضها الدين والمجتمع. أي أن المرأة ترفض مجرد التفكير في السحاق بسبب موقف الدين والمجتمع منه. لكن ارتفعت النسبة قليلا وبدأت النساء في التحرر من مخاوفهن في السؤال الحادي عشر، وأقرت (53 من مئة) بإمكانية محبة امرأة لو لم يمانع الدين والمجتمع. ثم عدنا إلى التردد والخوف حين أقرت (42 من مئة) بأنهن سيعلن هذا الحب لو لم يمانع الدين والمجتمع، وتظهر هنا أهمية السرية والكتمان في مجتمع يفضل الفرد فيه أن يعيش صورتين، صورة فاضلة ملتزمة يقبلها المجتمع وصورة خاصة خفية يحقق من خلالها الفرد رغباته السرية، وتفضل النساء هذه السرية حتى لو لم يمانع الدين والمجتمع، أي أن الخوف من الدين والمجتمع مغروس في جذور وعيهن إلى درجة أنهن يعجزن عن التخلص منه حتى في الخيال. ثم في السؤال الثالث عشر نجد قمة الرفض، فقط (23 من مئة) يعلن موافقتهن على ممارسة السحاق حتى لو لم يمانع الدين والمجتمع، ويدل هذا الرفض للأغلبية على احترام الدين حتى مع غياب سلطته والخوف من سخط المجتمع ولو غاب.

نعود في السؤالين التاليين إلى المفارقة بين المصادقة والمحبة، في السؤال الرابع عشر (88 من مئة) يقلن بميل إلى مصادقة النساء، وفي السؤال الخامس عشر فقط (60 من مئة) يقلن بميل إلى

محبتهن وكأن المحبة تجلب العشق والجنس والريبة والخطأ والحرام.

ولكن في السؤال السادس عشر، مفاجأة متوقعة كانت تقود لها الإجابات السابقة، (79 من مئة) لديهن ميل إلى النساء يحاولن كبته أو تهذيبه. وهنا نجد جرأة وشجاعة في الطرح تم كبتها ومنعها سابقا وتأكيدا على خوف النساء من سلطة الدين والمجتمع التي تجعلهن يكبتن أو يهذبن هذا الميل إلى غيرهن من النساء. علما بأن الميل إلى النساء لا يترتب عليه بالضرورة حب وعشق وممارسة للجنس، ولعل وجود هذا الإدراك لدى النساء منحهن الشجاعة للبوح في هذا السؤال. في السؤال الثامن عشر، وبعد تفاوت في الطرح والبوح والتردد، تؤيد المرأة بنسبة (70 من مئة) ضرورة تناول موضوع السحاق بالطرح إعلاميا وتربويا بصورة علمية راقية، ويقفز فجأة وعي الأمهات وخوفهن على بناتهن من مخاطر المستقبل. نسبة أعلى في السؤال التاسع عشر (92 من مئة) تدق ناقوس الخطر وتصرخ بضرورة توضيح مخاطر هذه الظاهرة من أجل علاجها، وهو دليل أكبر على وضوح مسؤولية النساء أمام أسرهن وأبنائهن ومجتمعهن. أما مؤشر جهل النساء بالمادة الدينية الخاصة بالسحاق فاتضح في نسبة السؤال التاسع عشر، (24 من مئة) اعترفن بجهلهن بالحديث الشريف الذي يقول "أن السحاق زنى النساء بينهن". وأتخيل احتمال تجاهلهن لمعرفة الحديث الشريف كغطاء لممارستهن للسحاق.

في السؤال الأخير نجد انتباه نسبة معقولة (56 من مئة) إلى الحرمان الذي تعانيه النساء غير المتزوجات والمطلقات اللاتي لا تسعفهن الظروف للزواج أو لإنشاء علاقة تشبع من خلالها حاجتهن العاطفية والجنسية فيلجأن إلى ممارسة السحاق كوسيلة لإسكات جوع الجسد وللحصول على متعة جنسية آمنة. كما أن الخوف من الزواج والتعرض للإيذاء بالنسبة إلى العانس قد يبعدها عن الزواج ويشجعها على إقامة علاقة سحاق آمنة، تماما كما المطلقة التي تعرضت للإيذاء أو الإحباط والخيبة في الزواج قد تتحول إلى سحاقية نتيجة لذلك.

الخاتمة:

عندما تصبح النسب بين السؤال الثالث عشر والأخير متقلبة ومتباعدة إلى هذا الحد، فذلك يدل على وجود خلل. نحن هنا **ندق ناقوس الخطر** ونقول: إن هناك خللا وخطرا يتربصان بنسائنا، خوفا على دين وأخلاق وصحة المرأة في مجتمعنا والوطن العربي الإسلامي كله. ونلفت انتباه المؤسسات الاجتماعية والإنسانية والقانونية إلى ضرورة التحرك لفعل شيء، أي شيء لحماية بناتنا، أخواتنا، نساء المستقبل، هؤلاء اللاتي تعتمد عليهن المساهمة في تشكيل حضارة المستقبل.

القسم الثاني: البغاء

الإنسان نار،

قانونه النيران كلها،

أن يصهر غلافه ليتحد بالينبوع الذي انفصل عنه.

سان مارتان

مقدمة:

البغاء Prostitution مهنة قديمة قِدَم الزمان وتعني الاعتياد على ممارسة الجنس بدون تمييز في مقابل المال. تقوم المرأة بتقديم جسدها – كأداة للتزويد بالجنس بكل أنواعه وطرقه المختلفة – لمن يرغب في مقابل المال. ويعتبر الليبراليون مهنة البغاء ضرورة للمجتمعات المتمدنة حتى تبقى هناك طبقة راقية من النساء الطاهرات الشريفات فيتوازن المجتمع. بينما يقول بعض علماء الاجتماع بوجوب تجريم الدعارة من أجل حماية أخلاقيات المجتمع وقيمه والأسرة، وأيضا حماية الفرد نفسه من شروره التي قد لا يعيها أو التي يعجز عن التحكم فيها وإيقافها.

سأتطرق في هذا الجزء من البحث إلى مهنة البغاء بتناول مصطلح البغاء كما جاء في الشريعة الإسلامية، أولا في القرآن ثم في السنة النبوية بالإشارة إلى الزنى والجنس المحرّم وتشجيع الناس وخاصة الشباب على الزواج. ثم تناول المصطلح لغويا كما جاء في المنجد وكما عرّفه عدد من الباحثين وعرض تحليل وتعليق أخلاقي على بعض المعاني. يلي ذلك تفصيل لموضوع البغاء كما ورد في القانون الكويتي مع تحليل أخلاقي ثم عرض لنماذج خاصة بوصف ممارسة البغاء، يليها الأسباب التي قد تشجّع المرأة على التحول إلى بغي، والأسباب التي تدعو الآخرين إلى ممارسة البغاء، والنتائج المترتبة عليها كممارسة ومهنة. وأخيرا سأقترح تسمية

واعتبار عدد من الممارسات والظواهر الجنسية نوعا من البغاء باستخدام المنهج الفلسفي الأخلاقي.

البغاء تاريخيا

الإشارة إلى البغاء مسجّلة على أوراق البردي المصرية، وذكر المؤرخ "هيرودتس" الصوت المألوف في شوارع أثينا القديمة وهو ينادي على أماكن الأنس واللهو ولا يتحرج من ذكر الثمن الذي ينبغي على الطارق دفعه في مقابل المتعة. يروي "هيرودتس" أنه كان على المرأة العذراء فقط في بابل أن تضاجع غريبا يختارها مرة واحدة في حياتها في فناء هيكل الآلهة ميليتا Milita ثم يلقي في حجرها قطعة فضة. وبصورة مماثلة كان على العذارى في قبرص أن يذهبن إلى ساحل البحر في أيام محددة من السنة، وتضاجع الواحدة من يرغب فيها لقاء أجر تقدمه إلى الآلهة فينوس Venus. أما في أرمينيا فتفعل العذارى ذلك لنيل بركة الآلهة أنايس Anais. وكانت كل أسرة أرمنية حتى الأرستقراطية منها ترسل بناتها للمعابد ليزاولن البغاء المقدس في فترة من حياتهن. وكانت البنات في الهند يقمن على خدمة المعبد فيرقصن أمام الآلهة وينشدن الأناشيد الدينية لإثارة الحماس الديني لدى المتعبدين، فإذا فرغن من الرقص والغناء فتحت لهن حجرات حول المعبد يقمن بمضاجعة الكهان والزائرين فيها إرضاء للآلهة. وكان الكثير من اليابانيين يخصصون بعض بناتهم للبغاء بسبب الفقر وبهدف الانتفاع من

المال الذي يأخذنه كأجر. أما في الصين فيقدم الرجل زوجته للبغاء للانتفاع بالمال، ولذلك ورد في تشريعهم المعروف بالأوامر أنه لو انتحرت الزوجة بعد أن أجبرها زوجها على العمل في مهنة البغاء حتى لا تقترف مثل هذا الفعل، وجب أن يقيم لها – على مقربة من منزل أبيها – نصبا تذكاري على هيئة قوس النصر.

وقبل تحريم البغاء في الإسلام، كان البغاء مباحا بين عرب الجاهلية، لكنهم رغم ذلك كانوا يحتقرون البغايا ومن يتردد عليهن، فيتوارى الزبائن في الظلام حتى لا يراهم أحد ثم يجرون من خلفهم أطراف أثوابهم لتطمس آثارهم ولذلك أطلق على البغايا لقب "المظلمات"، وكانت ترفع راية على بيت البغاء وسموا بأصحاب الرايات نسبة إلى ذلك.

الفصل الأوّل: المصطلح

مقدمة

ذكر البغاء مباشرة كمصطلح في القرآن، وذُكِر ضمنيا كذلك من خلال ممارسات جنسية محرمة أخرى كالزنى، مع وصفها وعقابها وشروط وقوعها، ومن الضروري في رأينا عرض ما تم تحريمه من علاقات جنسية في القرآن لما فيها من إهانة للفرد ولجسده وكرامته وهدم لقيم الزوجية والأسرة والبناء السليم للمجتمع الإسلامي. يختلف الزنى ظاهريا فقط عن البغاء إلا أنهما يشتركان في عدة صفات، فكلاهما محرّم في الإسلام والزنى هو ممارسة جنسية محرّمة تتم مع فرد معين أو أكثر من فرد برضا الطرفين دون أو مع مقابل. وقد حرّم الإسلام على الرجل كل ممارسة جنسية مع من لا تحل له. كما تعرف البغي بأنها امرأة فجرت وزنت.

1 – في الشريعة الإسلامية

أولا: في القرآن الكريم

البغاء

1 – ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾. النور: 33.

سبب نزول هذه الآية هو أنه كان لعبد الله بن سلول جواري، وكان يكرههن على ذلك الفعل، فقد سمي فعلهن بغاء. روى مجاهد أنه كان لعبد الله بن سلول جارية كانت تباغي، فكرهت ذلك وحلفت

ألا تفعله، فأكرهها، فانطلقت فباغت ببرد أخضر فأتتهم به فأنزل الله الآية.

2 – ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾. مريم: 20.

وقد أجابت السيدة مريم جبريل عندما ظهر لها وقال بأنه سيهبها غلاما زكيا بقولها متسائلة: كيف يكون ذلك ولم يمسسني رجل في الحلال ولا في الحرام أي كزانية؟.

وأيضا قوله تعالى: ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾. مريم: 28.

وقد عاتبها أهلها حين رأوها تحمل الطفل بتشبيهها بهارون وهو رجل صالح من بني إسرائيل. وكذلك لم يكن أبوها رجلا سيئا ولم تكن أمها زانية فمن أين لها بهذا. وما كانت أمك بغيا أي زانية[1].

3 – ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾. الحجرات:9.

فإن بغت أي إن أبت الإجابة إلى حكم الله عز وجل فيما لها وما عليها، حتى تفيء أي حتى ترجع إلى رشدها وترضى بحكم الله.

قال الواحدي والبغوي وفي "صحيح البخاري" (5/327 – 328) وغيرهما: نزلت هذه الآية في ضرب كان بينهم بالجريد والأيدي والنعال، فأصلح النبي عليه السلام بينهم.

ويقول الله تعالى:

﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾. يونس:23. يبغون أي يتجاوزون أمر الله إلى الكفر والعصيان. إنما بغيكم على أنفسكم أي إياها تظلمون.

4 – ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ﴾. النحل: 90.

البغي بمعنى التعدي ومجاوزة الحد والقَدْر في كل شيء.

ويقول الله تعالى أيضا:

﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾. الشورى:27.

بغوا أي تجاوزوا الحد الذي حده الله لهم.

وأيضا: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ﴾. الأعراف: 33. والبغي هنا بمعنى الاستطالة على الناس.

5 – ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا﴾. البقرة: 90. بغيا بمعنى تعديا وحسدا.

ويقول:

﴿جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾. الأنعام: 146. ببغيهم أي بإسرافهم.

و..

﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾. الجاثية: 17. بغيا بينهم طلبا للرياسات.

الزنى

يحرّم القرآن الكريم زنى المسلم المتزوج وغير المتزوج رجلا أو امرأة، ولكن تختلف الأحكام الشرعية فيهما كما يلي.

يقول تعالى:

1 – ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾. النور: 2.

يشرح ابن كثير حكم الزاني في الحد في هذه الآية. فالزاني إما أن يكون بكرا أو محصنا متزوجا. أما إذا كان بكرا لم يتزوج فإن حده مائة جلدة ويزداد على ذلك أن يغرب عاما عن بلده (الإمام مالك وابن حنبل والشافعي). أما الإمام أبو حنيفة فقال: إن التغريب يرجع للإمام إذا شاء غربه وإذا شاء لم يغربه.

أما إذا زنى المسلم المحصن المتزوج فإنه يرجم أي يرمى بالحجر حتى الموت والأصل في الرجم أنه سنة فعليّة[1]. وينفّذ علنا لقوله تعالى: ﴿... وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ النور:2. وقال الإمام مالك أيضا برجم الزاني والزانية المتزوجين.

ويقول الله تعالى:

﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾. النور:3. عن عبد الله بن عمر قال كانت امرأة يقال لها أم مهزول وكانت تسافح فأراد رجل من أصحاب الرسول أن يتزوجها فأنزل الله عز وجل الآية الشريفة.

وأيضا:

﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ﴾. النساء:24. محصنين بمعنى الإحصان ضد السفاح وهو الزنى.

ويشترط المشرع الإسلامي إجراءات غير عادية في إثبات جريمة الزنى، حيث يلزم لوقوع العقوبة أي الحد شهادة أربعة لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ﴾ النساء: 15.

(1) تفسير الجلالين، الطبعة الأولى، 1987، ص 399.

أما الآيات الكريمة الأخرى التي أشارت ونبّهت لمخاطر الفاحشة، فمنها قوله تعالى:

﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾. الأنعام:43

﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾. الأنعام: 122

ثانيا: في السنة النبوية

البغاء

قال قتادة ومقاتل وابن حيان: حرم الله على المؤمنين نكاح البغايا.

قال الإمام أحمد إنه لا يصح العقد على المرأة البغي مادامت كذلك حتى تستتاب، فإن تابت صح العقد عليها وإلا فلا. كذلك لا يصح تزويج المرأة الحرة العفيفة بالرجل الفاجر حتى يتوب توبة صحيحة.

قال ابن كثير عن مالك عن رسول الله عليه السلام، ما من ذنب بعد الشرك أعظم عند الله من نطفة وضعها رجل في رحم لا يحل له.

الزنى

يقول الإمام الغزالي – رضي الله عنه – عن بعض الصحابة: اياكم والزنى فإن فيه ست خصال ثلاثا في الدنيا وثلاثا في الآخرة

فأما التي في الدنيا فنقصان الرزق وقطع الأجل وسواد الوجه. وأما التي في الآخرة فغضب الله وشدة الحساب ودخول النار.

قال موسى عليه السلام يا رب ما لمن زنا قال الله تعالى ألبسه درعا من النار لو وضع على جبل شاهق لأصبح رمادا.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا زنى العبد خرج من الإيمان وكان فوق رأسه كالظلة فإذا انتهى من ذلك العمل رجع إليه الإيمان» وقال عليه الصلاة والسلام: «ما من ذنب أعظم عند الله من نطفة يضعها رجل في فرج لا يحل له».

وقد حث الرسول محمد عليه الصلاة والسلام الشباب على الزواج بقوله: يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصبر فإنه له وجاء (أي علاج ووقاية).

ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة وزيد الجهني أن إعرابيا أتى رسول الله فقال يا رسول الله كان ابني عسيفا (أي أجيرا) على هذا فزنى بامرأته فافتديت ابني منه بمائة شاه ووليده فسألت أهل العلم فأخبروني أن عليه جلد مائة جلدة وتغريب عام وأن على المرأة هذا الرجم. فقال الرسول عليه السلام: والذي نفسي بيده لأقضي بينكما بكتاب الله الوليد والغنم رد عليك وعلى ابنك مائة جلدة وتغريب عام وأغدو يا أنيس لرجل من أسلم إلى امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها.. فاعترفت.

يقول ابن عمر رضي الله عنه إن النبي صلى الله عليه وسلم ضرب وغرّب، وأن أبا بكر ضرب وغرّب وأن عمر ضرب وغرّب. وإن كان عبدا جلد خمسين جلدة ولم يغرّب لما يضيع من حقوق سيده في خدمته له.

وقال عليه الصلاة والسلام، «لم تظهر الفاحشة في قومٍ قط حتى يعلنوا بها إلا فشى فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت على أسلافهم الذين مضوا» رواه ابن ماجه.

2 – في اللغة

الدعارة والبغاء مصطلحان لمهنة واحدة، لكن الدارج والشائع والمتداول في المجتمع هو الدعارة، أما البغاء فهو المصطلح العلمي الذي ورد في المعاجم والدراسات عامة. أما الممارسة للبغاء فهي البغي أو الداعر أو المومس.

الجزء الأوّل:

– في المنجد:

بغيّ جمع بغايا: المرأة الزانية الفاجرة.

البغيْ: الظلم.

بغى الرجل: عدل عن الحق.

تباغى القوم: بغى بعضهم على بعض وتظالموا.

– الصحاح للرازي

بغي: (البغي) والتعدي و(بَغى) عليه استطال وبابه رمى وكل مجاوزة وإفراط على المقدار الذي هو حد الشيء. و(البغية) بكسر أو ضم الباء للحاجة (بَغى) ضالته يبغيها (بُغاء) بالضم.طلبها وكل طلبة (بُغاء)، (بَغى) له و(أبْغاه) الشيء طلبه له.. يقال (بغاه) فانبغى كما يقال كسره فانكسر، و(ابتغيْتُ) الشيء و(تبَغّيْته) طلبته مثل بغيته. (تباغوا) أي بغى بعضهم على بعض.

- Oxford English Dictionary

البغاء: Prostitution الفعل الذي تقوم به الأنثى نفسها للاتصال الجنسي مع الذكور دون تمييز وبهدف جني المال – تعريف Abraham Flexner

البغاء هو الاتصال الجنسي الموسوم بالمقايضة وعدم التمييز وعدم التجاوب الانفعالي. (من دراسة شاملة للبغاء في أوروبا قبل الحرب العالمية الأولى).

- تعريف Gladys Mary Hall

هو علاقات جنسية مختلطة مأجورة وغير مأجورة تشمل الهاويات اللاتي على استعداد لتكوين علاقات جنسية مختلطة نظير ملذات أو هدايا.

- جاء في القرآن والسنة بتسمية من قاتل المحقين (باغيا). فالباغي مؤمن يخرج عن طاعة الإمام التي أوجبها الله تعالى على عباده ويقدح عليه في القيام بمصالح المسلمين ودفع مفاسدهم من غير بصيرة لا على وجه المناصحة. فإن انضم إلى ذلك المحاربة له والقيام في وجهه فقد تم البغي وبلغ غايته[1].

(1) تاريخ القانون والفقه الإسلامي، د.علي جعفر، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1996، ص 363.

تعريف الزنى:

الزنى هو الوطء المحرم في قبل كان أو في دبر.

في المذهب الحنفي هو الوطء الحرام في قبل المرأة الحية.

في المذهب الشافعي هو إيلاج شفة أو قدرها من الذكر المتصل الأصلي من الآدمي بفرج محرم خال من الشبهة مشته.

الجزء الثاني:

أركان مهنة البغاء:

نأتي الآن إلى شرح الأركان التي تتكوّن منها مهنة مزاولة البغاء، وهي كما يلي:

1 – بيت الدعارة، وهو المكان المخصص لمزاولة المهنة، سواء كان بيتا من عدة شقق أو شقة واحدة أو غرف معينة في فندق.

2 – الفرد الذي تكون مهمته استقبال الزبائن وتسهيل مهمتهم وتزويدهم بصفات كل فتاة، وقد يكون رجلا أو امرأة، ويسمى "قوادا/ قوادة".

3 – البغايا أو المومسات، ويتدرجن في مراتب:

نساء الشارع، أو المتسكعات ومهمتهن اصطياد الزبائن سواء أثناء السير أو من الحانات والفنادق أو المطاعم أو بالوقوف والتواجد في زوايا معينة تكون معروفة لهذا الغرض. تذهب المومس مع الرجل لقضاء المتعة ثم يعيدها إلى نفس الزاوية

أو إلى مكان لآخر.

هناك اللاتي يتوفرن بحسب الطلب عن طريق وسطاء، ويتم استدعائهن تليفونيا فيأتين إلى غرفة في فندق أو تنقلهن سيارة خاصة إلى مكان الطلب.

المحترفات وهن في أعلى الترتيب ويتقاضين مبالغ عالية بحسب مواصفات الجمال والجسد ونوعية وطرق الجنس.

الفصل الثاني:
البغاء في القانون الكويتي

يعتبر القانون أن البغاء هو اعتياد المرأة على ممارسة البغاء مع الرجال دون تمييز. ولا يعتبر المقابل المادي شرطا لقيام الجريمة لكنه قد يكون دليلا على تواجدها. مثال: إذا مارست المرأة البغاء مع الرجال دون تمييز بينهم لمجرد إشباع الشهوة قامت الجريمة أما إذا مارست المرأة الجنس مع رجل معين بدون مقابل مادي لا تقوم الجريمة. يرتكز الركن الأساسي لجريمة البغاء في القانون على **الاعتياد** في ممارسة البغاء و**التكرار** مع مجموعة من الرجال **دون التمييز**.

لا يعاقب القانون الكويتي على جريمة البغاء بصفة خاصة كجريمة مستقلة، وإنما يعاقب على الصور الجنسية التالية المرتبطة بها:

مواقعة بالرضا (194)

اللواط (193)

الزنى (195)

بالنسبة إلى المرأة الداعر أو البغي، فإن كانت أقل من 18 سنة تعتبر حدثا ويتم تسليمها إلى دار رعاية الأحداث، أما الفتاة القاصر (أقل من 21) سنة وغير المتزوجة فلا تعاقب باعتبارها مجنيا عليها وإن كان برضاها لأنه لا يعتد به. تدان المرأة بالمواقعة بالرضا أو الزنى إذا كانت فوق سن الحادية والعشرين، تنص المادة (194) من قانون الجزاء على ما يلي: كل من واقع امرأة بلغت الحادية

والعشرين برضاها ولم تكن محرما منه، وضبط متلبسا بالجريمة، يعاقب بالحبس مدة لا تتجاوز ثلاث سنوات ولا تقل عن ستة أشهر.

وللقاضي الحق بالاقتناع عن طريق إحدى الطرق التالية:

1 – الشهادة
2 – الاعتراف
3 – التسجيلات
4 – المراقبة
5 – التحريات

ولكن بشرط المبدأ العام أن الأحكام الجزائية تُبنى على الأدلة وإن كان دليلا واحدا وتبنى على القرائن مجتمعة التي تتعاضد لتكوّن دليلا.

أما في اللغة القانونية فأركان المهنة كما يلي:

أ – الإنشاء: تخصّص شقة لممارسة الآخرين للدعارة فيها سواء أحضر هو (صاحب الشقة) الداعرة أو لا أو بمقابل مادي أو لا. إنشاء المكان يجب أن يكون للغير. ويسمى ركن الغيرية وليس للشخص. كما يشترط أن يكون مكانا عاما يدخله الجميع دون تفرقة.

ب – الإدارة: أي تولي إدارة مكان الدعارة، والإنشاء والإدارة قد لا يتلازمان وقد ينقسمان بمعنى أن ينشئ شخص مكانا للدعارة ويجهّزه ويتولى هو إدارة العمل اليومي. أو قد ينشئ المكان ويوكّل آخر لإدارته.

ويثبت الحكم الشرعي على القواد وهو من يدير المكان ويدير العمل فيه إما بإقراره أو بشهادة شاهدين بشرط أن يكون عاقلا وبالغا ويقام الحد عليه شرعيا سواء كان مسلما أو كافرا.

والحد هو: 75 جلدة مع النفي أو 75 جلدة في أول مرة فقط أو 75 جلدة مع حلق الرأس بغرض التشهير. ويعتبر المال الذي يكتسب من البغاء سحتا.

ت – المعاونة: هم المساعدون سواء في الإنشاء أو الإدارة، ولا يمكن إنشاء جريمة المعاون دون إنشاء جريمة المنشئ والمدير.

تنص المادة (203) من قانون الجزاء على:

كل شخص أنشأ أو أدار محلا للفجور والدعارة أو عاون بأية طريقة كانت في إنشائية أو إدارته، يعاقب بالحبس مدة لا تتجاوز سبع سنوات وغرامة لا تتجاوز سبعة آلاف دينار.

كما يعتبر القانون تأجير شقة لعزاب في عمارة مخصصة للعائلات جريمة يعاقب عليها بالغرامة وتفيد المادة الثانية من القانون رقم 125 لسنة 1992:

يعاقب المؤجر الذي يخالف أحكام المادة الأولى من هذا القانون بالغرامة التي لا تزيد على 500 دينار، فإذا عاد لارتكاب ذات الفعل خلال سنة من تاريخ الحكم عليه عوقب بالغرامة التي لا تزيد على 1000 دينار، وفي جميع الأحوال تحكم المحكمة بإخلاء العين من شاغلها.

أما المادة (195) بأن: كل شخص متزوج – رجلا كان أو امرأة – اتصل جنسيا بغير زوجته وهو راض عن ذلك، وضبط متلبسا بالجريمة يعاقب بالحبس مدة لا تتجاوز خمس سنوات وغرامة لا تتجاوز خمسة آلاف روبية أو بإحدى هاتين العقوبتين.

المادة (200): كل من حرّض ذكرا أو أنثى على ارتكاب أفعال الفجور والدعارة، أو ساعده على ذلك بأية طريقة كانت يعاقب بالحبس مدة لا تتجاوز سنة واحدة وبغرامة لا تتجاوز ألف روبية أو بإحدى هاتين العقوبتين، فإذا كان سن المجني عليه تقل عن الثامنة عشرة كانت العقوبة الحبس مدة لا تتجاوز سنتين وغرامة لا تتجاوز ألفي روبية أو بإحدى هاتين العقوبتين.

أما المادة 9/جـ من القانون المصري رقم لسنة 1961 في شأن مكافحة الدعارة على أن "يعاقب بالحبس مدة لا تقل عن ثلاثة أشهر ولا تزيد على ثلاث سنوات وبغرامة لا تقل عن خمسة وعشرين جنيها ولا تزيد على ثلاثمائة جنيه أو بإحدى هاتين العقوبتين كل من اعتاد على ممارسة الفجور والدعارة".

الفصل الثالث
نِسَب وإحصائيات، نماذج وأمثلة

تجارة البغاء هي ثالث أكبر مصدر دخل للجريمة المنظمة بعد المخدرات والقمار بحسب تقارير المنظمة الدولية. أما 85٪ من الثروات الإجرامية فمصدرها الأفلام والمجلات الإباحية.

ونأتي لعرض النسب المخيفة لعناصر ومحاور تجارة البغاء كما يلي: ففي موسكو وحدها أربعة آلاف بيت دعارة، وخمسون ألف عاهرة يعرضن خدماتهن في الشارع. بينما تدر تجارة البغاء على إسرائيل أربعة مليارات دولار سنويا. وجرى منذ عام 2000 تهريب من ثلاثة آلاف – خمسة آلاف امرأة خارج البلاد لتشغيلهن في البغاء. وتم بيع الواحدة بمبلغ يتراوح مابين 8 – 10 آلاف دولار، وتعمل سبعة أيام في الأسبوع، بين 14 – 18 ساعة يوميا.

أما في روسيا، فتدر أرباح البغاء من 7 ـ 12 مليار دولار سنويا لتجار الرذيلة.

يوجد في ألبانيا مايقارب الثلاثمائة ألف بغي، تشكل المهاجرات 79٪ منهن تم استدراجهن للسفر بعقود عمل وهمية.

هناك مايقارب 2 مليون امرأة وطفلة يتم بيعهن كعبيد جنس سنويا، ومائة وعشرين ألف امرأة من أوروبا الشرقية وروسيا والدول الفقيرة حولها، يتم تهجيرهن إلى أوروبا الغربية لممارسة البغاء. يقدر عددهن بين نصف مليون وسبعمائة ألف امرأة سنويا. وفي تقرير لمنظمة مكافحة الجريمة في ألمانيا، يقدر عدد النساء اللواتي يدخلن أوروبا الغربية بثلاثمائة امرأة سنويا. كما يتم إرسال

أكثر من خمسة عشر ألف امرأة أغلبهن من المكسيك إلى الولايات المتحدة لممارسة البغاء. وتباع النساء القادمات من دول شرق آسيا بأمريكا بستة عشر ألفا للواحدة ليتم تشغيلها في البغاء.

ويذكر التقرير أن ستين بالمائة تقريبا من العاملات في البغاء في اليونان أغلبهن من الأجنبيات. ويبلغ عددهن عشرين ألفا تقريبا من المهاجرات غير الشرعيات، بمن فيهن ألف طفلة تتراوح أعمارهن من 13 – 15 سنة. وتعتبر ممارسة البغاء قانونية في اليونان.

أما الإحصائية الصادرة عن برنامج التخطيط الأسري الدولي، وهي منظمة تطوعية، فإن عددا يتراوح مابين 50000 – 100000 من النساء والأطفال يتم جلبهن إلى الولايات المتحدة سنويا لممارسة البغاء.

كما ذكرت وكالة الأنباء العالمية رويترز والأسوشيتدبرس أن عصابات الجريمة المنظمة الدولية تجلب من تايلند ما لايقل عن 300 امرأة وفتاة قاصر سنويا يتم إرسالهن إلى أستراليا وحدها. أما اللاتي يتم جلبهن من تايلند والفليبين وتشغيلهن في اليابان فلايقل عددهن عن 150000 امرأة.

أما نسبة تفشي الإباحية بين الشباب فهي في تزايد مستمر، تظهر الدراسة التالية ذلك بين الشباب مابين 16 – 21 سنة في الستة عقود الماضية، كما يلي:

الاناث	الذكور	السنة
٪20	٪40	1940
٪21	٪42	1950
٪25	٪60	1960
٪40	٪60	1970
٪64	٪77	1980
٪70	٪85	1990

نماذج:

1 – (م.) شاب كويتي يعيش نمط حياة أشبه بالبغي المأجور باختياره وإرادته أو ما يسمى Gigolo، زبائنه متزوجات محطمات نفسيا غير مشبعات جنسيا وناقصات إنسانيا. فهو من حملة الشهادة المتوسطة وراتبه لا يكفيه للوصول إلى الحياة التي يعيشها أصحابه، فهو يريد اقتناء إكسسوارات الحياة العصرية من هاتف نقال والمرسيدس. كان السبب المادي هو الرئيسي لبدء مثل هذه المغامرة، لكن بمجرد مواصلته لدوره الذي يلعبه مع هؤلاء الزوجات بدأت تتفتّح أمامه آفاق جديدة مما جعله يدمن هذه الحياة.

ففي مقابل مبلغ من المال يذهب هذا الرجل إلى المكان الذي تحدده الزوجة وغالبا ما يكون في بيتها أثناء غياب زوجها صباحا

في عمله أو لقضاء أشغاله أو أثناء وجود زوجها النائم مثلا في غرفة داخلية مقفلة، ويفعل ما تطلبه منه بحسب ما تعطيه من مال. والرجل لا يحمل صفات ذكورية خارقة بل وجدته رجلا عاديا على درجة من الوسامة وكثير من الحنان والعاطفة و..الارتباك.

سألته: كيف كان شعورك أوّل مرة؟

أجاب: ارتبكت كثيرا بعد الانتهاء ومغادرة المنزل، شعرت بأني حقير وسافل لكني من أجل الحاجة المادية.. مضطر ليأسي من وجود بديل، ثم اكتشفت أن بإمكاني الاستمتاع أي أداء العمل نفسه في مقابل المال مع المتعة المصاحبة حتى أدمنت هذا الدور الذي ألعبه وصار مثل المورفين أو الهواء بالنسبة إلي.

سؤال: ماذا عن الخيانة؟

قال: هي التي تخون زوجها ولست أنا، أنا أؤدي دورا فقط أما من خطط وانتظر اللحظة المناسبة فهي الزوجة ولا علاقة لي بالخيانة هنا.

سؤال: ما هي أسباب الزوجة؟

جواب: أسباب تصب في خانة واحدة هي سوء المعاملة من الزوج، الإهمال أو عدم إعطاء المرأة الإشباع الكامل الذي تحتاج إليه أو الاستعجال قبل أن تنتشي المرأة. بعض النساء تعلم بخيانة زوجها لها وتستمتع بخيانتها له بدورها، كما أن البعض عبّر عن رغبته في جنس مغاير، أو عدم الاكتفاء برجل واحد. وأكمل، تقول

بعض النساء لي: إن زوجها يطلب منها أن تكون كالجثة في الفراش لا تتحرك بل تبقى في وضع معين ثابت لذلك تطلب مني تجريب أوضاع غريبة جديدة، كما تحب أن تبادر أو تعكس الأدوار. كلها عناصر متراكمة تدل على كبت وإحباط.

سؤال: هل سبق أن تعرضت لمواقف غريبة صعبة شاذة، هل تعرضت مرة للخطر؟

جواب: إحداهن كانت تحب أن أضربها، وأخرى كانت تطبخ لي وأكلها لذيذ جدا، وواحدة تحب التدخين بعد الجنس، البقية يحببن ممارسة الجنس على طاولة أو وقوفا، البعض لم يكشفن لي وجههن بتاتا ولا يمكن أن أعرفهن، مارسنا وهي بكامل ثيابها. في إحدى المرات صحا زوج المرأة ووجد الباب مقفولا وجن جنوني فخرجت كما أنا وأكملت ملابسي على السلم ولا أدري ما حدث لها.

بعد شهور من إجراء هذه المقابلة التقيت بنفس الشاب وفاجأني بأنه ترك هذا النوع من العمل بعد وفاة والدته، كلمني عن تجربة التعامل مع الموت الذي هزه كثيرا وجعله يعيد النظر في حياته والعودة إلى صوابه وإيمانه. الحمد لله أن الصحوة عادت من هذه الممارسة والرذيلة المهينة للنفس وللآخر معا، تحدث للإنسان البغي لعدة أسباب منها مثلا حادثة مؤلمة كوفاة شخص عزيز.

2 – بعض النساء اليوم يفضلن إقامة علاقة غرامية أو جنسية مع رجل عربي لأسباب عديدة تتضح فيما يلي في نتائج المقابلات

التي أجريتها حول هذا الموضوع مع ثلاثين امرأة. هذه المرأة عصرية وتحتاج إلى هذا النمط السلوكي لاستكمال سبل الحياة المرفهة، الوظيفة والسيارة والأناقة وطقم الحقيبة والحذاء، ثم الزواج إن شاءت الظروف وأرادت هي التحرر من أسئلة واستفسارات الأهل هذا إن كانت محظوظة بتوفر رقابة أسرية أو تأجيل الزواج والتنقل من علاقة إلى أخرى، في كل الحالات، سواء أكانت متزوجة أم لا، وجدت ميل الكثيرات إلى "الصاحب" العربي. اختار تعبير "الصاحب" هنا بناء على الكلمة التي فضلتها الأغلبية (75٪) منهن بين تعبيرات أخرى لوصف العلاقة هي: عشيق، صديق، زوج، أخ. ولعل سبب رفض تعبير "صديق" لوصف العلاقة أنها تتجاوز الصداقة وتدخل في الارتباط العاطفي أحيانا وفي النطاق الجنسي غالبا. كما أن الابتعاد عن تعبير "عشيق" هو بسبب شعور المرأة هنا بأنها غير ملتزمة عاطفيا، أي أنها تختار الرجل لتطابق صفاته مع طلباتها ولمجرد أنه ينفذ طلباتها ويستجيب لها كالآلة.فقط.

ولكن ما هي هذه **الطلبات** التي يمكن أن تدفع المرأة إلى مثل هذه العلاقة؟ الإجابة مشابهة لوصف حاجات النساء في المثال السابق في (1). بعض النساء المتزوجات يشعرن بالملل من رتابة حياتهن الجنسية مع أزواجهن الذين يتخذون وضعا واحدا ويكررونه مما لا يتيح للزوجة حرية التصرف أو التحرك أو التعبير خوفا من شك الزوج أو شعوره بأن دوره ثانوي أي يهدد سُلطته وسيادته في العملية، إذ تلجأ هذه الفئة من النساء إلى تجربة أوضاع جديدة

تعتمد على الفن والتجديد والإثارة. كما أن الكثيرات يحتجن للتعبير عن مشاعرهن الجنسية، الأمر الذي يخيف بعض الأزواج أو ربما يحرجهم، لذلك تحب المرأة هنا أن تتأوه وتصرخ وتختار وسيلة التعبير المناسبة، وعبّرت بعض النساء في هذا النطاق أنها تحب مداعبة نفسها أيضا أثناء العملية الجنسية أو تحب أن تكون البطلة في العملية أي تمتلك زمام الأمور، تختار وتتحكم في كل التفاصيل وتقود العملية نفسها.

المقابل المادي بحسب مواصفات الرجل، وسامته وصفات جسمه وأناقته وذوقه في الملابس وتسريحة شعره والمظهر عامة، ثم أسلوبه في العمل وطريقته في المعاملة والرقة والاهتمام وإتقانه للكلام المناسب، والأهم قدرته على إسعاد المرأة وتحقيق أو تنفيذ رغباتها. كما أن البعض من النساء ينجز معاملات بدل المال أو يقدم مقابلا عينيا مثل تلفزيون أو تليفون سيارة وهكذا، بحسب اتفاق الطرفين. الأسعار تبدأ من عشرة دنانير وتصل إلى ثلاثين أحيانا.

الجنسيات: تفضيل اللبناني أو السوري بسبب وسامته ولكن أحيانا يكون من الصعب السيطرة عليه ويتوق إلى علاقات أخرى، كما أنه مزاجي ومغرور عامة (لا يلتزم، طلباته غالية و..لا يطيع). أما المصري فهو "ابن حلال" بسيط ومتواضع، ملتزم مقارنة بغيره وليس عنيدا ولا مغرورا.

أحد الشبان العرب يقف في زاوية محددة في شارع رئيسي في منطقة حولي يحتكرها له فقط. تقف سيارة التاكسي أو سيارة بسائق تقلّه إلى مكان يتم فيه العمل ثم تعيده السيارة ثانية إلى مكانه، أو تأتي المرأة بنفسها وتأخذه إلى مكان خاص ثم تعيده، وقد رأيت بنفسي هذه الأحداث كلها قبل أن أجري معه اللقاء.

سؤال: هل تمتع المرأة في مقابل أن تدفع لك؟

جواب: في النهاية، آخذ حقي في مقابل ما قدّمت، والسعر بحسب جهدي وإبداعي في العمل.

سؤال: ألا تشعر بالمهانة حين تأخذ المال؟

جواب: لا طبعا، هو عمل شريف تماما كما يمارس أي شخص عمله ويأخذ راتبه في نهاية العمل، أين المهانة فيها!

سؤال: هل زبائنك من النساء فقط، وهل هم زبائن ثابتون أم متغيرون؟

جواب: الحمد لله أنا لا أخرج مع رجال، ولدي عدد من الزبائن المعروفين حيث تنمو بيننا ألفة من نوع معين وترتاح لي المرأة فتأتي باستمرار في فترات معينة وبحسب ظروفها واحتياجاتها. ترسل سيارة بسائق أو تاكسي في أغلب الأحيان أو تأتي بنفسها لو استطاعت. في إحدى المرات اشترت لي واحدة تليفون سيارة حتى تكلمني وقت ما تشاء وتشتكي لي وكانت تبكي أحيانا.

سؤال: ألا تخاف من ممارسة مثل هذه المهنة؟

جواب: لا أعتقد أنني أؤذي أحدا بما أفعل، ولو حصل شيء فلدي من يخرجني.لن تستغني عني النساء، أكيد.

سؤال: ألا تفكر في الارتباط وتكوين أسرة؟

جواب: ربما في المستقبل.

سؤال: هل ستترك هذه المهنة في يوم ما؟

جواب: ربما.. لكن الآن لا أعتقد.

3 – ينخرط بعض سائقي التاكسي في مجال البغاء. يقول سعيد إنه ذات يوم كان يوصل امرأة إلى مكان ما وبدأت تحدثه عن ظروفها السيئة ثم عرضت عليه العمل معها حيث يقضي معها ليلة كاملة يستمتع من خلالها بجسدها ثم يجلب لها زبائن في مقابل مائة دينار في الشهر. وحين أراد أن يتركها بدأت تهدده وهو يشعر الآن بتأنيب الضمير ويتمنى التوبة. والعكس حصل مع أخرى التي قالت إنها اعتادت على إنهاء مشاويرها بعد العمل بسيارة تاكسي في فترة العصر لانشغال زوجها ركبت ذات يوم مع سائق مميز بدأ يداعبها بالكلام ويلاطفها فارتاحت إليه ثم عرض عليها الذهاب إلى شقته ومارسا الجنس واعتادت على ذلك حتى أخبرها أنه سجّل لهما شريطا يجسد ممارستهما للرذيلة وبدأ يبتزها به، وهي تلبي كل طلباته خوفا من الفضيحة واكتشاف زوجها للأمر.

أما لطفي فيعمل كـ"سمسار" وبدأ هذه المهنة في بلده واستمر فيها في الكويت وحصل من خلالها على سيارة فخمة وبيجر وتليفون نقال. ويقول: " الناس يدفعون هنا أكثر في سبيل المتعة النادرة والصعبة، ولم أشعر أبدا بوخز الضمير فهذه الفرصة جعلت الحياة أسهل وأجمل. أبدأ بافتعال الكلام مع الزبونة، فإن تقبّلت وشجعتني أنتقل إلى الكلام الفاحش وإلى الغزل ثم نتبادل أرقام الهواتف ونتفق". المال بالنسبة إليه هو الوسيلة الوحيدة للبقاء في هذا العالم المادي. وفي نموذج مختلف تماما، يتعرض عماد لمضايقات من زبائنه النساء ويتلقى عروضا كثيرة للفساد ومغريات هائلة لكنه يرفض لأنه يخاف الله ويطلب معونته في المقاومة ومغفرته دائما. ويكاد يخسر عمله لهذا السبب.

(هـ) سائق تاكسي يسكن مع عدد من زملائه الذين يعملون سائقي تاكسي كذلك، قال إنه دخل مرة الشقة فوجد امرأة تائهة أتى بها أحد الزملاء بعد أن استوقفته في الشارع في حالة يرثى لها، كانت عليها علامات الضرب والمعاملة السيئة فبقيت في الشقة فترة تنظف وترتب وتغسل الملابس وتعد الطعام وهم يتناوبون عليها في ممارسة الجنس، وهي لا تمانع لأنهم أعطوها السكن والطعام والمأوى والمعاملة الحسنة، ثم عادوا فلم يجدوها.

جنسيات / أسعار

تعدد جنسيات العاملات في مهنة البغاء، لكل امرأة أسبابها وظروفها، للوافدات العربيات والآسيويات العاملات في مهنة البغاء ظروفهن التي تدفعهن إلى بيع أجسادهن من أجل المال كما يدعين. السبب الرئيسي هو تدهور الوضع الاقتصادي في الكويت والدول العظمى والعالم ككل وتأثيره على الوضع الاقتصادي المحلي، وبعد الاستغناء عن عدد كبير من غير الكويتيين أصبح هؤلاء بلا عمل ولا مأوى وبدأوا التفكير في موارد اقتصادية أخرى ووجدوا الدعارة هي الأسهل والأسرع، ولعل معظم هؤلاء ينتمون إلى خلفيات ثقافية واجتماعية متدنية إن لم تكن منعدمة. ورد في (جريدة الوطن 18 ديسمبر 1995 ضبط المباحث لشبكة دعارة تضم 20 فردا في منطقة النقرة جميعهم من جنسيات عربية وآسيوية، وتراوحت الأسعار بين 2 – 7 دنانير.

ذكرت مصادر وزارة الداخلية (الإدارة العامة) أن الأسعار التي تتقاضاها البغايا تقل أو تزيد بحسب الأعمار والمواصفات وهي كما يلي بحسب البلد التي تنتمي إليها:

الفليبين: 10 – 15 دينارا

تايلاند: 5 – 8 دنانير

دول آسيا: 3 – 5 دنانير

مصر: 25 – 30 دينارا

المغرب: 40 – 46 – دينارا

لبنان: 45 – 60 دينارا

روسيا: 40 – 50 دينارا

الكويت: أقل من 20 سنة: 100 – 150 دينارا

أكثر من 20 سنة: 40 – 50 دينارا

العذراء: ألف دينار

مثال: تعمل المغربية (ت.ن.) 32 عاما في صالون للتجميل ولكن بأجر منخفض، ولأنها مطلقة وتعيل ابنة صغيرة اضطرت إلى العمل ساعات إضافية في المنازل بحسب طلب السيدات، وهناك تفتّحت لها سبل الثراء فهي جميلة وتملك جسدا متناسقا ومظهرا بهيا وأحبتها السيدات لمظهرها وكلامها الحلو، فمرة يطلبن منها الرقص ومرة الكلام عن بلدها وأهلها، وانهالت عليها العروض لعمل الماكياج والتسريحات للحفلات ثم حضور جلسات الشقق الخاصة، وتدريجيا حددت أجرا للحضور وللرقص أو التعري أو ممارسة الجنس، واليوم تتقاضى مائة دينار للحضور فقط دون خدماتها الأخرى.

الأمثلة التالية هي من مصدر خاص في وزارة الداخلية:

الواقعة (1):

اتصل ضابط المباحث هاتفيا بوكيل النيابة وأبلغه بوجود شقة تدار لممارسة البغاء، وبناء على التحريات المقدَّمة من ضابط

المباحث أعطى وكيل النيابة الإذن بالتفتيش والقبض على من في الشقة وإثبات الجريمة. بعد دخول الضابط للشقة شاهد سيدة في صالة الشقة تجلس مع رجلين مرتدية الملابس الداخلية، ثم شاهد في الغرفة الأولى مواقعة بين رجل وامرأة عاريين على سرير الغرفة، وفي الغرفة الثانية شاهد سيدة ورجلا يرتديان الملابس الداخلية وهما على سرير الغرفة.

بعد إلقاء القبض عليهما اعترف الرجلان أنهما أنشآ هذه الشقة لممارسة الرذيلة فيها، واعترف الثالث بأنه أتى إلى الشقة بعد أن سمع بأنها تدار لممارسة الرذيلة وطلب ممارستها مع واحدة من السيدات الموجودات فاستجابت له ومارس معها بالفعل، ثم قال إنه لا يعرف أحدا من أصحاب الشقة. أما السيدات فاعترفن بأنهن احترفن مهنة البغاء واعتدن على المجيء إلى الشقة وممارسة الرذيلة مع من يتواجد فيها في مقابل مادي بناء على طلب أصحاب الشقة.

الواقعة (2):

وجدت علاقة بين مسؤول فندق وضابط أمن الفندق بتخصيص إحدى الغرف في الفندق لممارسة البغاء فيحضر مسؤول الفندق المرأة ويسهّل ضابط الأمن دخولها مع طالب المتعة ويكتم الموضوع. قامت المباحث بمراقبة خطوات الرجلين – المسؤول وضابط أمن الفندق – بعد أن تلقت معلومات تكشف العلاقة والترتيب بينهما، وعرفت المباحث بأحد مواعيد لقاء البغي وطالب

المتعة وتم أخذ إذن للدخول إلى الغرفة وتمّت المداهمة وقت حدوث المواقعة، وضبط الرجل والبغي متلبسين، وبسؤال المتهمين عن الجرم اعترف الجميع بالتعاون على تسهيل أو ممارسة الرذيلة.

الواقعة (3):

أبلغ أحد الأزواج عن شكوكه في سير زوجته الأخلاقي، وبعد قيام المباحث بمراقبة تحركات الزوجة تبيّن أنها تذهب إلى إحدى الشقق في السالمية. وبعد مراقبة اتصالاتها الهاتفية تبين أن لها علاقة بمالك الشقة التي تذهب إليها. ثم تم الحصول على إذن القبض والتفتيش وتمت مداهمة الشقة، وبالدخول شوهدا عاريين في وضع المضاجعة، وبسؤالهما اعترف الرجل بأنه أنشأ هذه الشقة لممارسة المتعة المحرمة مع هذه المرأة فقط، وكذلك اعترفت السيدة بممارسة المتعة مع هذا الرجل فقط بدون مقابل مادي باعتباره عشيقها ولم تعتبر قضية بغاء.

الواقعة (4):

تمت مداهمة إحدى الشقق الفاخرة بواسطة المباحث بعد أخذ إذن القبض والتفتيش، ووجد فيها ثلاث نساء يتكلمن العربية الفصحى وامرأة تتكلم اللهجة الكويتية ورجل. حاول الرجل الهرب إلى داخل الشقة ولكن قبض عليه، وبعد تفتيش الغرفة التي هرب إليها تم العثور على سلاح (كلاشنكوف).

فسأله الضابط: هل كنت تنوي قتلنا بهذا السلاح؟

فرد الرجل وهو في الأربعين تقريبا: لا يا حضرة الضابط لم أكن أعلم بوجود السلاح، كنت أحاول الهرب لا المقاومة.

الضابط: أريد أن أعرف ماذا تحتوي هذه الشقة؟

الرجل: الشقة أمامك يا حضرة الضابط، فتّشها وأخرج ما هو مخالف للقانون.

فأمر الضابط المباحث بتفتيش الغرفة تفتيشا دقيقا، وبينما يتفحص الضابط مكونات الشقة عثر على حبوب تستخدم لعلاج القرحة وهي من نوع (zntk)، فسأل الرجل: هل أنت مريض؟

الرجل: نعم أنا أعاني من القرحة.

قال الضابط ضاحكا: للأسف تعتقد أننا أغبياء فنحن نعلم أن هذا العقار يستخدم للإجهاض. ثم عثر الضابط على مادة الماريجوانا المخدرة. فسأل المرأة العربية عن وجودها هنا. صمتت مدة ثم قالت إنها ستجيب في التحقيق الرسمي. وحين طلب أوراق الأخريات تبيّن أنهن روسيات. حينها قال الرجل: يا حضرة الضابط هذه الشقة ليست لي بل لصديقي والسلاح له أما المخدرات فهي للروسيات ونحن هنا نعد لإقامة حفلة ولا يوجد ما يثير الشبهات. بعدها طلب الضابط أخذ الجميع إلى قسم المباحث للتحقيق معهم.

تم استدعاء الرجل أولا للتحقيق فقال له الضابط: لا شك أنك مستغرب من طريقة عثورنا عليك؟

الرجل: نعم أنا مندهش فعلا.

الضابط: اتهمتك زوجتك بالزنى، ولكن الآن أنت متهم بحيازة سلاح ومخدرات.

فقال الرجل بحزن: أنا مسكين لأني أعيش مع امرأة متسلّطة ولم أصل إلى هذه الحال إلا بسببها، وأعرف أن القانون لن يرحمني بسبب ظروفي.

الضابط: أتمنى أن الدموع تعبر عن ندمك.

الرجل: أعلم أن زوجتي هي التي اشتكت عليّ وأرشدتكم إلى الشقة التي أتواجد فيها، وقد فعلت ذلك لأرجع إليها ولكن هذا مستحيل فالسجن أرحم من العيش مع زوجتي. الخلافات بيننا منذ بداية الزواج ولم أر يوما سعيدا معها. وبقي زواجنا حبرا على ورق. ومنذ ستة شهور غضبت وتركت أطفالها الصغار وهجرت البيت إلى منزل أهلها، حاولت إصلاح الوضع وردها إلى بيتنا لكنها رفضت بقولها "لن أكون خادمة لديك" ورفعت ضدي قضية نفقة مدعية أن الأولاد في حضانتها رغم أنهم يعيشون عندي، وشهد شهود بذلك فجن جنونها وقالت مهددة: "سأجعلك تدفع الثمن". وهاهي تبلغكم عني.

الضابط: هل ألقينا القبض عليك ظلما؟

الرجل: لا لكني كنت أتمنى التوبة بعيدا عن طريق المباحث.

الضابط: كيف تعيش مع أطفالك الصغار وأنت تتناول الخمر وتمارس الرذيلة، هل تؤتمن على تربيتهم؟

الرجل باكيا: وقعت في المحظور بسبب ظروفي السيئة.

الضابط: سأساعدك لو أخبرتني بالحقيقة.

الرجل: سأكون عند حسن ظنك.

الضابط: هل المخدرات لك؟

الرجل: أقسم لك بأنها للروسيات، ويمكنك تحليل دمي لمعرفة ذلك.

الضابط: وماذا عن السلاح؟

الرجل: أنا أستخدم هذه الشقة مقابل دفع 50 دينارا لصاحبها شهريا، وأعترف بأنني كنت على علم بوجود السلاح لكنه ليس لي بل لصاحب الشقة. ولا أعتقد أن صديقي يقصد باقتناء السلاح ارتكاب جريمة فهو ينوي بيعه والخلاص منه وقد عثر عليه أيام الغزو.

الضابط: وماذا عن وجود النساء في الشقة؟

الرجل: تعرفت على بنت روسية في أحد الأسواق الشعبية، وكلمتها باللغة الروسية وخاطبتني بكل احترام.

الضابط: هل مارست معها الجنس؟

الرجل: عدة مرات وأنا بصدد الزواج منها.

الضابط: هذا السؤال خارج التحقيق، لكن لماذا تريد الزواج منها الآن بالذات؟

الرجل مبتسما: لأنها أرحم من زوجتي، وعندما دعوتها إلى بيتي أخذت تلعب وتداعب أولادي فارتموا في أحضانها وأحبوها جداً، وهي تتصف بالحنان والرحمة وتقدس الحياة الزوجية لذلك أفكر في الارتباط بها.

الضابط: وماذا عن الأخريات؟

الرجل: إنهن صديقاتها وأنت فهمت الموضوع خطأ يا حضرة الضابط.

الضابط: سنعرف كل شيء من خلال التحقيق. وطلب الضابط رقم تليفون صديقه صاحب الشقة وعنوانه وتم الاتصال به وحضر على الفور وتم توجيه الاتهام إليه بإدارة شقة للبغاء.

دهش صاحب الشقة للتهمة الموجّهة إليه وسأل: كيف يكون ذلك ولم أكن في الشقة أصلاً؟

الضابط: أليست الشقة باسمك؟

صاحب الشقة: نعم الشقة باسمي ولكن كما تعلم يشترط إحضار عقد الزواج لاستكمال طلب الإيجار وبالفعل فعلت ذلك.

ثم أخرج الضابط المخدرات والسلاح، وأكمل بأنه تم العثور عليهما في شقته فقفز الرجل الثاني من مكانه وأنكر أنها ملكه أو تخصه وقال: مشكلتي أن الشقة باسمي فقط.

وطلب الضابط إحضار الرجل الذي عثر عليه في الشقة أثناء المداهمة، فسأله الضابط عن السلاح، وأجاب أنه لصاحب الشقة.

صاحب الشقة: أقسم لك بأنه يكذب فقد زارني وقال إن زوجته تسبب له المشاكل وطلب أن يكون شريكي في الشقة ووافقت ظنا مني أنه محترم. لكني الآن أتفاجأ بالسلاح والمخدرات، وبكى.

الضابط للرجل: ما رأيك في كلام صاحب الشقة؟

الرجل: لقد أخبرتك أن المخدرات للروسيات والسلاح لصاحب الشقة.

صاحب الشقة: اطلب الحارس يا حضرة الضابط واسأله إن كنت أتردد على الشقة أم لا.

وأمر الضابط باستدعاء الحارس الذي قال: صاحب الشقة هو صاحبها بالاسم فقط.

الضابط للرجل: أنت في ورطة الآن.

الرجل: لقد قلت الحقيقة وصاحب الشقة يكذب لأنه يريد إنقاذ نفسه فقط.

طلب منهم الضابط الخروج جميعا واستدعى الفتاة التي تتكلم باللهجة الكويتية التي أفادت أنها مصرية الجنسية ووالدتها كويتية.

الضابط: ما سبب وجودك في الشقة؟

الفتاة: أسكن في نفس العمارة وزوجي في الخمسين من عمره، وأنا في العقد الثاني من عمري وأعتبر زوجته الرابعة ولا أراه إلا مرة في الأسبوع، وأنا بحاجة إلى رجل أتكلم معه وأبوح له بهمومي.

الضابط: لماذا تزوجت زوجك إذن؟

الفتاة: بسبب الحاجة.

الضابط: أنت تحاولين تبرير فعلتك، فلا يكون الزواج بالإيجار ولو أحسنوا تربيتك لما سمحت لنفسك بخيانة زوجك.

الفتاة: لقد قتلتني الوحدة ورأيت زوارا من مختلف الجنسيات في هذه الشقة، ورحب بي صاحب الشقة بزيارتهم وارتحت له كثيرا.

الضابط: هل فعل معك شيئا؟

الفتاة: نعم.

الضابط: أخبريني ماذا حدث؟

الفتاة:

بعد تعرفي عليه بدأت أزوره في الصباح الباكر وأحضر معي الفطور، وأبقى معه طوال اليوم حتى تحين زيارة زوجي لي فأعود

إلى شقتي وأكرر العودة ثانية وهكذا. ذات يوم وأنا أقفل باب الشقة نظر إليّ نظرة طويلة وقال إنه يريدني فأجبت بأني متزوجة لكنه هجم عليّ ومزق ملابسي وقال: أنت الخاسرة كيف ستخرجين الآن أمام الجيران بهذا المنظر. "فاستسلمت له ولرغباته وكنت غاية في الحزن ولم آكل أو أنم بعدها لمدة يومين، ولم أعد إليه. والغريب أنه حين زارني زوجي بعد الحادثة مباشرة قال: أشم رائحة كريهة ثم هز رأسه قائلا: أتمنى أن أكون مخطئا. وخفت كثيرا لكني تناسيت كلامه وأدمنت الذهاب إلى الشقة.

الضابط: العيب ليس فيك بل في زوجك الذي تركك وحدك.

الفتاة: أرجو ألا تخبره بما حدث أرجوك.

الضابط: بل يجب أن يعرف حقيقتك. ثم أمر بإخراجها وإحضار الروسيات وتحدث معهن بالإنجليزية فاعترفن بأن الرجل الذي كان معهن في الشقة أحضرهن على كفالته بعد تعرفه عليهن في البحرين، ثم عرض عليهن ممارسة البغاء مقابل مئة دينار في الليلة الواحدة علما أنه كان قد أخبرنا قبل حضورنا أننا سنعمل مدربات في أحد النوادي الرياضية النسائية. ثم جعلنا نوقع على أوراق بيضاء وهددنا بسهولة إدخالهم السجن إن لم ينصعن لأوامره الآن فاحترفن البغاء كما أمر.

الضابط: ماذا عن المخدرات؟

أنكرن المخدرات تماما وتحت الإصرار اعترفت إحداهن بأنها جلبتها معها من روسيا بعد وضعها في كعب الحذاء، أما السلاح فيعود إلى صاحب الشقة وهددهن به لو خرجن من الشقة دون علمه.

وأخيرا اعترف الرجل بعد محاصرته بالمعلومات الجديدة بحيازة السلاح وإدارته لشبكة الدعارة باستخدام النساء الثلاث، أما المصرية فقد طلبت بنفسها العمل معهم.

سجن الرجل لمدة ثلاث سنوات مع الشغل والنفاذ إضافة إلى غرامة جمركية على حيازة السلاح. وحكم بالسجن على فتاتين من الروسيات الثلاث لمدة ستة أشهر مع الإبعاد عن البلاد، أما الفتاة المتورطة في جلب المخدرات فسجنت خمس سنوات مع الإبعاد، أما الفتاة المصرية فحكم عليها بثلاث سنوات والإبعاد عن البلاد.

لقاء مع محقق

ولإلقاء مزيد من الضوء على الخلفية القانونية لمهنة البغاء بالنظر لواقعها وكيفية التعامل معها على أسس رسمية، أعرض فيما يلي لقاء هاما مع أحد الأفراد الذين يقومون باستجواب المتورطين في مهنة البغاء وترتيب عملية مداهمة الشقق بعد مراقبتها وغيرها من إجراءات. واحتراما لرغبته لن أذكر اسمه كما طلب لحساسية منصبه وأهمية المعلومات التي زودني بها.

– لماذا لا يقوم المسؤولون بترتيب حملات تفتيش لاكتشاف الشقق التي يمارس فيها البغاء؟

شقق الدعارة موجودة في جميع أنحاء العالم ولكنها تختلف في علانيتها أو إخفائها بحسب قوانين وعادات وتقاليد الدولة، فبعض الدول تسمح بممارسة البغاء مثلا كمهنة بل وتقننه وتسمح لمن يمارسه باقتناء رخصة وبطاقة صحية، ويتم الترويج له رسميا من خلال الإعلانات دون قيود مثله مثل أي عمل تجاري أو ترويجي آخر. أما بالنسبة إلى الدول التي تعتنق أديانا سماوية وشرائع تحرم البغاء فغالبا ما تجرم هذه المهنة وتضع عقوبات لمن يرتكبها ويمارسها أو يعمل فيها. إذن لو وجدت شقق للبغاء في الكويت لاشك أنها ستمارس في الخفاء مما يزيد من خطورتها صحيا واقتصاديا واجتماعيا. والتفتيش عن هذه الشقق قائم ومستمر بحكم أن البغاء من الأفعال المجرمة، فإذا نمى إلى علم السلطات المختصة وجود مثل هذه الشقق أو الأنشطة يتم الترتيب لمداهمتها في الوقت المناسب وإلقاء القبض على القائمين عليها واتخاذ الإجراءات القانونية ضدهم.

– (الواسطة) تتدخل أحيانا لإخفاء قضية شقة من شقق البغاء لو تورط فيها شخص أو مسؤول مهم، فما تعليقك؟

(الواسطة) تكاد تكون ظاهرة عالمية ولكنها تبرز بشكل أوضح في المجتمعات النامية – كما يعبر الاقتصاديون – وبطبيعة الحال

يمكن للواسطة أن تتدخل في جميع أجهزة الدولة وليس فقط في قضية شقق البغاء. السؤال هو: إلى أي حد يمكن للواسطة أن تتدخل هنا؟ هذا التدخل غير مسموح به على الإطلاق ولكن إن حدث وتدخلت يكون مدى تدخلها وتأثيره بحسب حجم الواسطة نفسها وقدرة أصحابها ونفوذهم. فكما يقول الشاعر: على قدر أهل العزم تأتي العزائم.

– ماذا لو قام رجل الأمن أو المباحث بالتعامل مع بائعة الهوى بدل أن يقبض عليها؟

شأنه شأن أي مواطن عادي يكون الحكم عليه بالتزامه بالقانون أم لا، فإذا خرج عن القانون وارتكب سرقة أو جريمة أو زنى عوقب مثل أي مواطن آخر، لا يعتبر فوق القانون لأنه مباحث أو شرطة. كما أنه لا يستطيع أن يقبض عليها لمجرد علمه بأنها بائعة هوى، إذ يشترط للقبض أن تكون في حالة تلبّس أو أن تعتمد عملية القبض على تحريات جدية صدر بمقتضاها إذن من الادعاء أو من النيابة بالتفتيش والقبض.

– هناك اتهام يقول إن المسؤول عن إدارة نصف شقق البغاء في البلاد إما رجال أمن أو داخلية؟

أنا كرجل أمن لا أتحرك إلا إذا توفرت لدي شروط ومقومات وجود جريمة معينة، هنا ينتقل القانون من حالة الإثبات إلى حالة التحرك لمواجهة الجريمة. لكن نشاط الناس مهما كان نوعه

وعلاقاتهم الاقتصادية والاجتماعية أو العاطفية..إلخ، لا يتدخل فيها القانون – الجزائي خاصة – إلا إذا شكلت جريمة أو خروجا عن القانون. فإذا ثبت حسب السؤال أن أحد رجال الأمن يتولى فعلا الإشراف أو إدارة شقة للبغاء فسوف يتم توجيه التهمة إليه والتحقيق معه وإحالته إلى المحاكمة شأنه شأن أي متهم آخر، لا أدري كيف جئتم بفكرة أن رجل الأمن فوق القانون، إنها غير صحيحة. أشبّه القانون بالمغناطيس تمر عليه كل الأجسام: بلاستيك وخشب وورق ومعادن مختلفة فلا يتحرك أو يلتقط أيا منها سوى الحديد. نفس الشيء بالنسبة إلى القانون لا يلتقط من الناس سوى المجرمين ولا من الأنشطة إلا ما يشكل جريمة، وهناك مبدأ معروف (الأصل في الإنسان البراءة حتى تثبت إدانته).

– هل تقوم الجهات المسؤولة بترتيب دوريات منتظمة في المناطق التي تكثر فيها شقق البغاء؟

نعم بالتأكيد لأن تطبيق القانون والحفاظ على النظام العام والآداب في المجتمع من صميم عمل السلطة التنفيذية في الحكومة أو الداخلية.

الفصل الرابع: الأسباب

سأعرض في هذا الجزء من البحث الأسباب التي تدعو المرأة إلى ممارسة البغاء والمشاركة في انتشاره، والأسباب التي تدعو الرجل إلى ممارسته والمساهمة في قيام مهنة البغاء وأسباب أخرى متنوعة اجتماعية وإعلامية وغيرها تدعو إلى قيام مهنة البغاء في مجتمع محدد، كما سأعرض بعض آراء متخصصين في الأسباب التي تدعو إلى وجود البغاء. **لكن لابد من الإشارة إلى أن هذه الأسباب لا تكفي وحدها للانزلاق في مهنة البغاء وإنما يساهم في تغذيتها وتقويتها عوامل أخرى مثل ضعف الشخصية والإرادة، والاستهتار والطيش، والأنانية والجشع، وقلة الثقة بالنفس وعدم احترام الذات وغيرها، وسنأتي لشرح ذلك لاحقا.**

أولا – الأسباب الخاصة بالمرأة:

1 – انعدام الوعي الديني وترك المرأة للركن الثاني في الدين الإسلامي وهو الخاص بإقامة الصلاة فكما قال سيدنا محمد عليه السلام: (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والبغي).

2 – تواجد المرأة في بيت يخلو من القيم والفضائل والقدوة الحسنة، إضافة إلى عدم تلقيها التربية الإسلامية الرادعة اللازمة منذ الصغر تلك التي تزرع التقوى والحياء والخوف من الله في النفس. أو ممارسة أحد أعضاء الأسرة للبغاء

واستسهالها للمهنة، قالت إحدى العاملات في هذا المجال: "أمي علمتني الدعارة" (مجلة الجريمة عدد 35، 98/4/11)

3 – التفكك الأسري، كأن يكون هناك طلاق أو انفصال وعدم وجود متابعة ومراقبة أسرية دقيقة للمرأة. أو انشغال الأهل في حياتهم الخاصة وأعمالهم وعدم تواصلهم مع البنت كما يجب.

4 – إجبار الأهل للمرأة على الزواج ممن لا ترغب فيه باختيارهم له دون علمها أو إذنها وهو مخالف لمبادئ الشريعة الإسلامية. وتقصير الزوج ماديا أو جنسيا أو عاطفيا مما يجعلها تبحث عن بديل وتتدرج في العلاقة السهلة للتعاطي – مخدر أو كحول – مثلا وصولا إلى بيع جسدها.

5 – فشل المرأة في الحصول على المتعة الجنسية الصحيحة والكاملة في الزواج مثل الوصول إلى الرعشة (الأورجازم) أو خشونة الزوج وعدم مداعبته لها أو تعرّضها للجنس الخاطئ أو المؤذي على يد زوجها، وكلها أسباب جنسية مؤلمة تدفع المرأة إلى البحث عن جنس رومانسي ممتع خارج الزوجية.

6 – حب المال وارتفاع القيمة المادية لدى المرأة واعتبارها المال قيمة في حد ذاته أو وسيلة إلى متع مادية أخرى، إضافة إلى الهوس بالثراء وحب التملك وشراء كل ما تتوق إليه النفس.

7 – التعرض لتأثير المجلات والأفلام الخليعة الفاضحة وكل ما تبثه القنوات التلفزيونية الغربية والإنترنت من سموم عاطفية وجنسية وفكرية.

8 – حب التقليد، فقد تتواجد المرأة بالصدفة أو بدعوة في حفلة أو جلسة خاصة وترى البغايا وما يفعلن والامتيازات والمال والهدايا أو الفوائد التي يحصلن عليها فتود فعل وممارسة نفس المهنة.

9 – إهمال الزوج لزوجته بخروجه وسهره وأسفاره مما يعرضها للوحدة والشعور بالإهانة في كرامتها وأنوثتها فتسعى لتعويض ذلك.

10 – الفارق الكبير في العمر بين الزوج والزوجة، فإذا كان أكبر منها فستشعر بالحاجة لمن تتصل به معنويا وفكريا وعاطفيا وجنسيا.

11 – اشتياق المرأة في سن متقدمة يتراوح بين 36 – 55 أو أكثر لممارسة الجنس أو مجرد التواصل عاطفيا مع رجل صغير لشدة حاجتها للشعور بأنوثتها وجاذبيتها وحيويتها من جديد.

12 – إدمان الزوج على الخمر أو المخدرات مما يجعله ضعيفا جنسيا وخائر القوى تائها ومشتتا فكريا وعاطفيا.

13 – حب الانتقام من الزوج إذا كان يجاهر بالخيانة أو إذا كان عنيفا يضربها دون سبب، أو مهملا لواجباته تجاهها أو بخيلا مقصرا معها ماديا أو يسلبها أموالها.

14 – ميل بعض النساء المستهترات أحيانا إلى حياة مزدوجة، فتكون فاضلة وآثمة معا، تظهر وتمثّل دور الفضيلة والنقاء وتمارس الرذيلة سرا مع التمتع بالشعور بالتفوق على الناس لاعتقادها بأنها تمكنت من خداعهم.

15 – حب المرأة الشديد للجنس وفشل زوجها في إمتاعها وإن كان طبيعيا ومعافى، وتوقها إلى جنس غزير أو مختلف وغريب أحيانا. قالت لي إحدى الزوجات هاتفيا إنها نشطة جدا جنسيا ويعجز زوجها عن مجاراتها وتفكر دائما في الخيانة وممارسة الجنس المحرم مع رجال آخرين بحثا عن الإشباع الذي تحتاجه.

16 – تفاعل المرأة مع صديقات السوء اللاتي يعملن في هذا المجال، ومحاولة سحبها والتأثير عليها للعمل معهن لجمالها أو جمال جسدها أو إعجاب أحد الرجال بها أو لمجرد استغلالها أو الإساءة إليها.

17 – حاجة المرأة أحيانا إلى مصاحبة ومصادقة أصحاب النفوذ من رجال أعمال وتجار وسياسيين وغيرهم في مواقع ومناصب هامة تلجأ إليهم حين الحاجة إلى رفع مخالفة أو

دفع فاتورة متأخرة أو تخليص معاملة، ولأنها إنسانة عادية فكل ما تستطيع أن تقدمه هو جسدها وأداتها الجنسية التي يحتاجها هؤلاء لتفريغ شحنة جنسية مؤقتة في حفل أو سهرة "مزاج". إن المرأة العادية هنا الضعيفة تتوق إلى الشعور بالقوة بمعرفة هذا النوع من الناس، وغالبا ما تكون على استعداد لتقديم أغلى ما تملك للفوز بعلاقتهم وودهم بل وتتنافس البنات من أجل الفوز بوقت رجل ذي مركز.

18 – تعرض المرأة للعنف من أهم الأسباب التي قد تدفع المرأة إلى ممارسة البغاء. فقضايا العنف تكلف الحكومات الأوروبية أموالا طائلة، وتدفع سويسرا مثلا سنويا حوالي 270 يورو كلفة المحاكم وبرامج التأهيل والعلاج الخاص بحالات العنف.

علما بأن نسبة تعرض العاملات في مهنة البغي للعنف عالية أيضا. وفقا لتقرير الأمم المتحدة لعام 2000، يتم سنويا الاتجار بما يزيد على سبعمائة ألف امرأة واستغلالهن بصورة مهينة وبشعة. كخطف أبنائهن وإجبارهن على ممارسة البغي حتى يتسنى لهن رؤية الأبناء وغيرها.

كما يفيد نفس تقرير الأمم المتحدة أن ثلث نساء العالم يتعرضن للعنف، ومن الآثار المترتبة عليه: الخوف، الارتجاف، ضيق التنفس، الصداع، الاسهال، آلام البطن وكثرة الاجهاض. إضافة إلى المعاناة النفسية وفقدان الشعور بالأمان والاستقرار والخوف من

الآخر وفقدان الثقة بالنفس وبالآخر معا، والرغبة في الانتقام، مما يدفع البعض منهن، خاصة ضعيفات الشخصية إلى الهروب من هذه الأحزان والمعاناة للمخدرات والمسكرات وأحيانا لممارسة البغاء. إنها محاولة خاسرة وساذجة لتخدير النفس بالمهدئات والمسكنات وغيرها، بدلا من مواجهة المشكلة ووضع حلول وسبل علاج لها والنهوض من حالة اليأس والدمار نحو حالة أفضل ومستقبل مشرق أكثر تفاؤلا وعافية.

يفيد التقرير ذاته أن نصف نساء نيكاراجوا يتعرضن للضرب على يد أزواجهن. وفي أميركا، فإن ضحايا العنف 30٪، منهن 1،8 مليون زوجة يتعرضن للعنف على أيدي أزواجهن، أما في فرنسا، فإن ضحايا العنف 95٪، منهن 51٪ زوجة. وفي كندا، يمارس 6٪ من الرجال العنف ضد زوجاتهم، وفي البيرو 70٪ من الجرائم المسجلة لدى الشرطة ضحايا نساء تعرضن للضرب على يد أزواجهن. وأن واحدة من كل خمس نساء في العالم تتعرض لاعتداء جنسي أو جسدي. أما في الولايات المتحدة، فهناك امرأة واحدة تتعرض للضرب كل خمس عشرة ثانية، وسبعمائة ألف يتعرضن للاغتصاب سنويا. 40٪ من نساء الهند يتعرضن للضرب والصفع أو الاعتداء الجنسي.

ثانيا – الأسباب الخاصة بالرجل:

1 – غياب الوعي الديني والأخلاقي لدى الرجل.

2 – نشأة الرجل السيئة تربويا وأخلاقيا بعدم توفر التربية الإسلامية السليمة، وغياب المبادئ الأخلاقية اللازمة لمنعه من ممارسة الرذيلة، أو وجود قدوة فاسدة في حياته.

3 – غياب الرقابة الأسرية اللازمة لحماية الولد وتوجيهه الاتجاه الصحيح قبل الانحراف، ومساعدته وإعانته على العودة إلى الصواب بعد التعرض للانحراف لأول مرة.

4 – رفض الزوجة الأولى أو الأهل لمبدأ الزوجة الثانية مما يدفع الرجل للذهاب إلى الشقق الخاصة التي تتوفر فيها البغايا.

5 – عدم قدرة الرجل على الزواج ماديا أو عدم استعداده لخوض تجربة الزواج، وعدم ثقته بالنساء لكثرة ما يرى ويسمع عن الخيانة والطلاق وعن إباحية البنات وسوء تربيتهن ومظهرهن. فيقتسم عدد من الشباب المتزوج أو الأعزب مثلا مسؤوليات شقة واحدة تخصص لمتع الجميع بحسب جدول وترتيب معين.

6 – إهمال الزوجة لنفسها بعد الزواج أو الحمل والولادة. فعدد كبير من النساء يفقدن الاهتمام بمظهرهن وجمالهن وتناسق أجسادهن بعد الزواج لاعتقادهن بأن الرجل أصبح لهن أو ملكهن، إضافة إلى فرص تعرضها للسمنة والترهل بعد الحمل فلا تمارس الرياضة ولا تتبع نظام تخفيف الوزن مما

يضطر الزوج إلى البحث عن المتعة خارج منزله، أو إهمالها لنظافتها عامة وخاصة في موطن العفة.

7 – الفكرة التقليدية الشائعة بأن لا شيء يعيب الرجل وإن زنى فزوجته هي السبب، وإذا ذهب إلى البغايا فلا بد أن شيئا ينقصه عجزت زوجته عن توفيره له في بيته..إلخ. إضافة إلى ترسيخ عدد من المسلسلات والأفلام العربية لمثل هذه الأفكار وتثبيتها في عقول الكثيرين رغم عدم موضوعيتها.

8 – التعرض لتأثير الفضائيات الغربية ومتابعة الأفلام الجنسية والتواصل البذيء عبر الإنترنت. كلها تشجع على حب ممارسة المتع المحرمة بأي وسيلة.

9 – الفارق الكبير في السن بين الزوجين، فإذا كان الزوج أصغر من زوجته فإنه سيتوق مع الوقت إلى الجنس مع من هي أجمل وأصغر وأكثر فاعلية وليونة ونشاطا عاطفيا وجنسيا.

10 – إدمان الزوجة على الخمر أو المخدرات وصعوبة تطليقها لأحد الأسباب مثل احترام الرابط العائلي بينهما أو وجود أولاد أو غيرها من الأسباب.

11 – انتقام الرجل من ماض معين أو تجربة سيئة مر بها مثل تعرضه للخيانة في حبه الأول أو أنه رأى أمه تهمل أو تخون أباه..الخ. فقد عبّر أحدهم عن ذلك بقوله: "المأساة هي أمي لأنها زانية" (عدد 35 من مجلة الجريمة، 98/4/11).

12 – خروج المرأة المتكرر، وحبها للسوق مثلا أو كثرة زيارتها لأهلها أو خروجها مع صديقاتها وقضاء الوقت الأكبر مع الأبناء، أو الانشغال بالعمل أو الدراسة على حساب الاهتمام بالزوج وتلبية رغباته الزوجية.

13 – خجل بعض الزوجات من التعري أمام أزواجهن أو فشلهن في إمتاع الزوج أو في التعبير الجنسي، والتفاعل السليم والصحيح في الفراش حتى مع تشجيع الرجل أو عدم قدرتها على مجاراته جنسيا.

14 – تأثير أصدقاء السوء على الرجل بتشجيعه على الذهاب إلى الحفلات والجلسات الخاصة التي تتوفر فيها البغايا، وترغيبه في المتعة الجنسية المحرمة وتسهيلها عليه.

15 – إعطاء المجتمع فكرة خاطئة للرجل عن فحولته وتفوقه الذكوري بكثرة ممارسته للجنس وإن كان محرما، واعتبار من يمارس الجنس مع زوجته فقط إنسانا ساذجا غير متحضر أو متمدن.

ثالثا – أسباب أخرى:

1 – أسباب اقتصادية

هناك شطران لهذه النقطة، شطر أوّل ينطبق على الفقر وكيفية دفعه الفرد لامتهان البغاء من أجل الثراء والقضاء على الشعور

بالحرمان وامتلاك كل ما يشتهيه، إلى جانب انعدام الوعي بقيمة الذات وحُرمة الجسد وعفته وغياب الوازع الديني والأخلاقي. وشطر ثان خاص بحالة الثراء وكيف يمكن أن يكون سببا للاشتراك في مهنة البغاء.

أولا: عامل الفقر

ربط الكثير من الباحثين والعلماء بين البغاء والفقر، وجسد لنا التاريخ اضطرار المرأة إلى بيع جسدها من أجل لقمة أو لحاف يدفئها. فالعديد من الفتيات العاملات في البغاء على مدى التاريخ أتين من بيئات فقيرة أو معدمة أحيانا، وقد رأينا في المقدمة التاريخية من هذا البحث كيف تدفع بعض الأسر اليابانية وغيرها بناتها للعمل في البغاء لتوفير الطعام لهم ولتحسين مستوى معيشتهم بصفة عامة. ذكر تقرير منظمة الأمم المتحدة لحقوق الإنسان لعام 2000 أنه يتم إغراء الصغيرات من الأسر الفقيرة اللاتي لم يبلغن العشرين سنة بعد بالعمل في الخدمة والمطاعم في أوروبا. وبعد الموافقة، سرعان مايجدن أنفسهن في مصيدة عقود وهمية، ويتم تشغيلهن في شبكة البغاء. وكان يتم ترحيل الصغيرات من أوروبا في القرن السابع عشر الى أميركا لغرض ممارسة البغاء. وتم ترحيل عشرة آلاف من الرقيق الأبيض على امتداد الساحل الغربي الأفريقي. أما في الوقت الحاضر، فتباع آلاف الفتيات من نيجيريا وغانا والسنغال والكاميرون وساحل العاج "لاسياد" للعمل في البغاء في مختلف أنحاء العالم. ويذكر التقرير أنه تم تهريب 1130

فتاة من نيجيريا وحدها إلى فرنسا للعمل في البغاء في العامين الماضيين.

عبرت لي عدد من الفتيات العاملات في صالونات التجميل في الكويت أن رواتبهن متدنية جدا لدرجة أنهن مضطرات إلى البحث عن مصدر آخر وبتشجيع بعض الزبونات ودعوتهن إلى منازلهن، وبسبب ما يتمتعن به من جمال وحسن تصرف ومظهر ينجرفن للعمل في البغاء. وإذا عملت الفتاة في البغاء في سن مبكرة فستكون أكثر ضعفا على مستوى الشخصية، انفعالية وعاطفية ومندفعة قليلة الوعي والذكاء غير قادرة على الإدراك السليم والتدبر والتفكير في مخرج أو بديل، الأمر الذي يجعل المؤثرات والمغريات أكثر قوة وتأثيرا عليها. كما أن المهنة الشريفة التي تلائم هؤلاء الفقيرات اللاتي لا يحملن شهادة أو تعليما إلا قليلا لا تدر عليهن المال الكافي للحياة الكريمة فيعملن في البيوت أو المصانع غالبا كخدم أو عاملات. ولو قاست المرأة منهن العائد المالي للبغاء وقارنته بما تحصل عليه من أي مهنة شريفة فستجد أن الفرق كبير جدا. إضافة إلى شعورها بالقوة المعنوية لكثرة علاقاتها وتعرفها على من هم في مناصب عليا هامة وحصولها على الهدايا أو الخدمات، بينما تبقى مجرد نكرة لو عملت في وظيفة شريفة بغض النظر عن مستواها العقلي والعلمي، إضافة إلى محاربة بعض المجتمعات الخليجية والعربية للمرأة المتفوقة أكاديميا وعلميا خوفا من فكرها.

ثانيا: عامل الثراء

أما الثراء فقد يكون سببا آخر للاتجاه إلى البغاء، فالثراء الفاحش خاصة حين لا يقابله الأساس الديني والأخلاقي الثابت يمكن أن يترك لدي الفرد شعورا بالفراغ والضياع مما يدفعه إلى البحث عن متع غريبة أو محرمة أو صعبة التنفيذ بهدف التسلية أو الفضول أو التملك أو المباهاة. أو يمكن أن يكون مجرد وسيلة سهلة إلى زيادة الثراء إشباعا للجشع. وقد وجدت أن عددا متوسطا من البغايا (4 – 5 بين كل عشر) لا يحتجن إلى المال، فهن موظفات ومستقلات ولديهن رواتب لكنهن يستمتعن بالتواجد في الشقة للمباهاة بالجمال أو بالعائلة أو النفوذ أو لمجرد التلذذ بالقدرة على فعل ما هو خطر وكسر المحظور أو لمجرد إشباع الرغبة بالقدرة على شراء أي شيء أو أي أحد. كما أن اتخاذ الخطوة بالذهاب إلى الشقة التي تمارس فيها البغاء والتواجد والمكوث فيها والتفاعل مع الموجودين، كلها خطوات تحتاج إلى جرأة وجسارة وأحيانا تكون هذه الجرأة والشجاعة التي تستلذ بها المرأة المكتفية ماديا لو كانت تعاني من كبت أو قمع أسري يتمثل في عدم السماح لها بإبداء الرأي أو التعبير عن الذات، فبقيت عندها الحاجة للشعور بقيمتها وأهميتها كذات وفرد.

2 – أسباب نفسية

هناك بعض الدوافع والأسباب النفسية التي قد تساهم في جذب المرأة للعمل في مهنة البغاء تحتل أولوية الاهتمام لدى المرأة، بينما تقل درجة الاهتمام بالمال وتصبح ثانوية بسبب أهمية الإشباع النفسي. فالحرمان من الحب والحنان الأسري أو الزوجي، أو الإصابة بالجفاف العاطفي في المحيط الذي تعيش فيه سواء من الأهل أو الزوج والأصدقاء قد تدفعها للبحث عن أجواء مفعمة بالعاطفة. "وإن كانت مؤقتة أو مزيفة لكنها تخدرني وأعود للتزود بها بعد حين" (هـ 34 عاما متزوجة وأم).

أيضا العنف أو الخشونة أثناء المعاشرة الزوجية وعدم استخدام أسلوب الملاطفة والمداعبة الذي دعا إليه محمد عليه الصلاة السلام. علما بأن بعض الأزواج يبالغ في العنف فيغتصب الزوجة أي يعاشرها دون رضاها أو علمها – تكون نائمة – أو استعدادها، وكلها حالات غير سوية نفسيا وجنسيا تسبب الألم الجسماني والنفسي ويكون من الصعب إزالته ومحوه. حب الانتقام من نموذج الرجل (الأب، الزوج، الأخ..) بإيذائه في شرفه. أو الانتقام من الناس نتيجة للإهمال والتجاهل فتستخدم جسدها وهو الوسيلة الوحيدة التي تملكها للانتقام، دون أن تكون واعية بأمر هام هو أنها تدمر نفسها تدريجيا أثناء عملية الانتقام هذه.

الحالة المزاجية من الأسباب النفسية التي تدعو إلى ممارسة البغاء أحيانا، أو حالة العناد لدى المرأة أو الشهوة الجنسية العالية

(الغلمة والشبق الجنسي). فبعض النساء نشيطات جنسيا بصورة تفوق القدرة العادية للزوج، فتحتاج الزوجة إلى ممارسة الجنس خارج نطاق الزوجية إما لعدم قدرة الزوج على مجاراة شهوة الزوجة العالية أو لعدم تفاعله وتفهمه لها، عبرت إحدى النساء عن ذلك بأنها لا تستمتع تماما إلا بممارسة مزدوجة من الأمام والخلف معا وفي آن واحد، وإن لم يتوفر ذلك تساعد هي نفسها باستخدام أصابعها في إحدى الفتحتين. (ت. 42 عاما). التفسير الطبي المقترح لهذه الحالة هو إصابة المرأة ببعض الأمراض النفسية – العصبية التي قد تؤثر بدورها على الغدة النخامية الموجودة في قاع الجمجمة، وتقوم الأخيرة بالتأثير على بقية الغدد الصماء فتزيد من نشاطها إلى درجة الإفراط أحيانا فتترع الدم بهرمون الدرقية وهرمون المبيض مما يتسبب في هيجان جنسي لدي المرأة.

من الأسباب النفسية الهامة جدا التي قد تدعو المرأة إلى ممارسة البغاء هي اليأس والوحدة والاكتئاب التي تعاني منها المرأة فتندفع إلى البغاء بحثا عن المشاركة والحب والحنان والحيوية، لكنها بعد فترة تجد نفسها تدور في حلقة مفرغة تشعرها بمزيد من الوحدة والفراغ العاطفي والمعنوي ويصبح من الصعب الخروج منها للحاجة الملحة لتوفير الحب. المشكلة بالنسبة إليها أنها تمارس الجنس مع رجال مختلفين لا يكفيها الوقت أو التجربة للاتصال العاطفي والمعنوي بهم. وإذا تكرر الاتصال مع نفس الفرد تكون قد التقت بآخرين وتحتاج بعض الوقت لاستعادة الألفة معه ثم يختفي

من جديد وهكذا. فالمقصود بالألفة والعشرة بين الأزواج هو تكرار الاتصال الجسدي مع شخص واحد وامتداد الألفة وتعمق المعرفة بينهما، الأمر الذي لا يتوفر في البغاء بسبب اختلاف الأفراد كل مرة. كما أن في البغاء تنتهي مهمة الرجل بمجرد دفع أجر البغي، بينما تكون هي في حرقة سعيها للبحث عما هو أعمق وأصدق.

3 – أسباب سياسية

تساهم بعض التجمعات أو المؤسسات الاقتصادية والسياسية لإنعاش سوق البغايا بتوظيفهن كجواسيس لأخذ معلومات هامة معينة – مثل معلومات إدارية أو أسماء أفراد أو أماكن عمليات أو أرقام أرصدة وغيرها – من زبائن محددين وهم تحت تأثير الخمر أو النشوة الجنسية. يقوم حزب بمحاربة حزب معارض أو منافس له مثلا بكشف تورطه الأخلاقي أو السياسي أو المالي حتى يسهل عليه إيقاعه أو إضعافه من الداخل. ونلاحظ شدة الحاجة إلى هذه الممارسات أثناء الحروب أو الانتخابات واشتعال حدة التنافس.

ذكر تقرير منظمة الأمم المتحدة لحقوق الإنسان للعام الماضي أن آلافا من النساء في أوروبا وباريس هن من ضحايا البغاء الخفي تحت مظلة الاستعباد المنزلي في بيوت بعض الدبلوماسيين. تخدم هؤلاء النساء في منازل الدبلوماسيين ويتم استخدامهن للبغاء أيضا تحت حصانة معينة فوق القانون. تكون هذه الحصانة مرادفة أحيانا للإفلات من العقوبات. ويتحدث التقرير عن الأماكن التي تكثر فيها

العبودية المنزلية والصلة بينها وبين الوسط الدبلوماسي، مقترحة عشرات التدابير لمكافحة هذه الآفة. ويطالب التقرير أن تتضمن قوانين دول اتحاد أوروبا مايدين العبودية المنزلية كغطاء للبغاء. بلجيكا مثلا تستخدم قوانين ضد الاتجار بالأجانب كوسيلة إلى مكافحة البغاء تحت مسمى العبودية المنزلية. أما إيطاليا والنمسا فتدينان العبودية والاتجار بالنساء، وكان هناك 17 شكوى في النمسا وحدها عام 1997، و18 شكوى عام 1998.

4 – أسباب اجتماعية

يساعد المجتمع أحيانا بمؤسساته المتعددة الإعلامية والتربوية والتقليدية الراسخة بتسهيل ممارسة البغاء لدى ضعاف النفوس. فكما رأينا في بداية هذا الجزء من عرض الأسباب المؤدية إلى البغاء التأثير الإعلامي، فوسائل الإعلام بكافة أنواعها تشجع على استسهال ممارسة الجنس المحرم بما تعرضه القنوات الفضائية العربية والأجنبية من تصوير لعلاقات عاطفية وجنسية ساخنة ومشوقة مع توفير الإنترنت للصور الخلاعية المطلوبة لإثارة الحواس ولوسائل الاتصال وإقامة علاقات بأنواعها، كما أن الصحف والمجلات مليئة يوميا بقصص الغرام والجنس. وفي النهاية يجد الفرد نفسه محاطا بعالم إعلامي معلوماتي يحثه ويدفعه إلى التفكير في الجنس وكيفية إشباع شهواته ورغباته وازدياد الفضول بمحبة التقليد ومعايشة الأجواء العاطفية والجنسية من خلال التجربة الحية. عبر الرئيس السابق للجنة الاتصالات الفيدرالية في الكونغرس

الأمريكي عن ذلك بالقول: "تخيل أن هناك شخصا غريبا في بيتك يحدثك وأولادك عن الجنس طوال اليوم ولا يجرؤ أحد على مقاطعته أو إسكاته أو إخراجه من البيت هذا الغريب هو التلفاز".

أضيف نقطة هامة هي أن المحيط الاجتماعي يبث أحيانا سموما فكرية تدفع الفرد إلى الرذيلة والخطأ. فمثلا يقال عن الفرد الشريف الذي لا علاقات مشبوهة لديه إنه ساذج وأبله أو متخلف حضاريا وغير مواكب للمدنية والتطور.

الفصل الخامس: النتائج

تتعدد أنواع النتائج المترتبة على انتشار البغاء في المجتمع، وسأقسمها إلى نتائج شخصية خاصة بالفرد الذي يمارس البغاء من جهة، والذي يشجع على انتشار البغاء بالمشاركة والمساهمة بترويجها وتسويقها والتعامل معها والانتفاع منها. ثم سأنتقل إلى نتائج عامة أهمها النتائج الاجتماعية وغيرها.

أولا: نتائج شخصية

وأقصد هنا النتائج التي يتلقاها نموذجان مختلفان، الفرد الذي يمتهن البغاء وسأسميه فاعلا، والذي يتعامل وينتفع منه أي الزبون وهو متلقي الممارسة أو الخدمة والمفعول به فعل البغاء، إنه موضوع البغاء، أما الأدوات فهي الجسدان، جسد كل منهما.

أ) الفرد الذي يمتهن البغاء

النتائج المترتبة على امتهان فرد – رجلا كان أم امرأة – لمهنة البغاء هي نتائج تدميرية في مجملها على مستوى احترام العقل والنفس والجسد وإن شملت المنفعة المادية أو العينية أو اعتمدت عليها. فأسوأ ما في مهنة البغاء مخالفة تعاليم الشريعة الإسلامية واقتراف فعل مشين يبغضه الله تعالى ويغضبه في آن واحد، وقد بينا هذا في بداية هذا الكتاب، وفي الفصل الخاص بالمصطلح في القرآن والحديث. ثم معارضة تقاليد المجتمع وآدابه وقيمه البديهية التي ترفض الجنس من أجل المال، ومخالفة البديهية الأخلاقية التي تقول باحترام الجسد وعدم التعامل معه كسلعة أو بضاعة تباع من

أجل مال أو مقابل. كما أن البغاء استهلاك للطاقة العقلية بتجميدها وإهمالها وجعلها غير ضرورية وغير هامة وهامشية، فلماذا تحتاج البغي إلى التفكير والثقافة والقراءة والاطلاع طالما أنها تحصل على المال وكل ما تحتاج إليه، وقد سألتني إحداهن في مقابلة علمية بيننا عن مجمل راتبي الذي يقابل درجة دكتوراه الفلسفة، وحين أخبرتها سخرت بقولها إنها تحصل عليه في الأسبوع وليس الشهر. والبغاء يعتبر أيضا استهلاكا للوقت وللطاقة التي يمكن أن تصب في مجال إبداعي أو حيوي علمي أو أدبي مثلا.

لكني أعتبر مهنة البغاء في أساسها إهانة جسيمة لعقل الإنسان وذكائه وفكره وثقافته، فكيف نعتبر من يعمل في هذه المهنة سويا عقليا وهو يقبل باختياره وإرادته امتهان جسده من أجل المال وتقديم الجنس لشخص عابر غريب بلا مشاعر أو تفاعل حقيقي أصيل وبلا رابط شرعي، والتضحية بوقته وجهده وأخلاقه واهتماماته ومواهبه من أجل العمل في البغاء. أضيف أنه قد تتضمن مهنة البغاء بعض الممارسات السلبية مثل الطلبات الغريبة للزبائن، فقد يتعرض البغي للضرب أو الشتم أو قد يجبر على فعل حركات أو تأدية أدوار مهينة كريهة، وكل هذا يكلفه كرامته واحترامه لذاته كإنسان عاقل. لذلك أشعر بأن هذه المهنة تتوجه مباشرة لإهانة العقل قبل الجسد، لأن الجسد مجرد أداة فإذا خسرنا العقل سهل الوصول إلى الجسد، أما إذا ثبت العقل ووصل إلى مراتب عليا من

الثقافة والعلم، استطاع أن يفرض حمايته ووصايته على الجسد فيمنعه من السقوط إلى الهاوية، وممارسة البغاء.

وأذكر زميلة لي في جامعة برمنجهام، طالبة دكتوراه فلسفة كانت تعمل في البغاء في أوقات متأخرة حتى تستطيع دفع مصاريف وتكاليف التحضير لرسالة الدكتوراه من مواد وطباعة وأبحاث وتجارب وغيرها. وكنت أعجب لهذا التناقض الرهيب بين الوصول لأرقى درجات العلم وهي تحضير أطروحة دكتوراه بكل ما تضمه هذه التجربة من تحديات فكرية وذاتية وشخصية وبين امتهان العقل بقبول هذه المهنة. كان ردها ببساطة أنها تملك المقومات اللازمة للمهنة من جمال ورشاقة وخبرة ومهارة، وحين سألتها ولماذا لا تعمل في مجال آخر، ردت بأن البغاء هو المهنة الأكثر ربحا في مدة قصيرة وأنها هكذا تحصل على المال والجنس معا. ولعل السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: هل تستمتع البغي أم أنها تنفصل شعوريا أثناء "العمل". أدركت من خلال معايشتي للمجتمع الغربي خلال خمس سنوات من الدراسة وعبر احتكاكي بالمرأة فيه أن الجنس كالخبز، ومن العيب أو غير المعتاد أن لا يكون للمرأة صاحب أو "بوي فريند" وإن لم تحبه أو ترض عنه أو تخطط للزواج منه، إنما يقتصر دور كل منهما على التفريغ الجنسي. لذلك يشكل الفعل الجنسي هاجسا لدى هذه المرأة وكأن من واجبها أن تقوم به حتى تحقق دورها الإنساني والعملي والاجتماعي والإبداعي. ونجد أنها تكون في أفضل حالاتها المزاجية والعملية

اللائقة والجيدة حين تكون مشبعة جنسيا بينما الأخرى تكون محبطة مكتئبة ينقصها عامل حيوي هام، ويؤدي التأخر في الفعل الجنسي أحيانا إلى الانتحار بسبب الشعور الحاد بالنقص وفقدان الجاذبية أو فرص الحب.

توصلت من خلال المقابلات والقراءات التي أجريتها وأعددتها لهذا البحث إلى أن عددا من الفتيات لا يبتعدن كثيرا عن تأثير التجربة الجنسية أثناء البغاء وإن كانت غير شعورية. فقد أفادت بعض الفتيات اللاتي يمارسن البغاء الشرجي بأنهن بعد الزواج لا يجدن المتعة الموازية لممارسة الجنس عبر الشرج، كما أفاد أحد الأزواج الذي اعتادت زوجته على العادة السرية قبل الزواج بأنها قبل المعاشرة بل وأثناءها تستأذن للذهاب إلى الحمام وتمارس العادة السرية حتى تصل إلى النشوة التي اعتادتها. كل ما سبق يدل على أن المرأة قريبة من جسدها، وشعورها الملاصق والحميم لخصوصية جسدها يجعلها تمعن في كل تفاصيل التجربة الجنسية التي تستخدم أدق وأهم أجهزة هذا الجسد، وأخص هنا المرأة العربية/الخليجية لأنها تحمل إرثا كاملا تقليديا اجتماعيا من موروث "الحرام والعيب والتابو" الخاص بالأنثى والجسد والبكارة والحيض ونمو الصدر ونزع شعر الساقين والشارب وغيرها.

علاقة المرأة بجسدها علاقة متميزة وخاصة لا يعجز الرجل عن تخيلها وتصورها فحسب بل يعجز عن إقامة علاقة مثلها مع جسده. الرجل يستخدم جسده إما لـ"الظهور": من خلال تنمية

العضلات والاستعراض عبر الملابس وغيرها، أو "لـ"الوجود والتحقق" أي عبر الفعل الخاص بالعمل والإبداع والتناسل. أما المرأة فهي تتعاطى هذا الجسد وتحسه وتستشعره في كل لحظة، إنها تعيشه وتتنفسه. ولعل المرأة في المجتمعات الخليجية تنفرد بهذا الشعور المتضخم بالجسد لأن مجتمعها يصورها كجسد وليس كعقل: (إن جسمي لا يبارحني بينما الموضوعات الخارجية ليست موضوعات إلا من حيث يمكن إبعادها أي اختفاؤها.. فحضور الموضوعات لا يخلو من غياب ممكن، أما الجسم الخاص فإني أدركه بصفة مستمرة ولا يمكن التفكير في غيابه) الشاروني:47. فالعادات والتقاليد الراسخة ووسائل الإعلام وأغلب توجهات المجتمع تنظر إلى المرأة كجسد متجاهلة قدرتها على الإبداع في مجال عقلي أو فني أو علمي: (إن الفتاة لا تمتلك في أغلب الأحيان سوى جسمها وهو أغلى كنز لديها) سيمون دي بوفوار: 30. إن جسد المرأة يمثل هويتها التي تتجسد من خلالها للآخر وفي المجتمع. قبل الزواج يكون وعيها متقلا بأهمية الجسد الذي سيأتي لها بالزواج الذي تتمناه، فمن النادر النظر إلى عقل المرأة قبل الزواج في مجتمعنا كمعيار للتفضيل وقد يُنظر إلى أخلاقها ودينها أحيانا. وبعد الزواج، تصبح أغلى وأثرى وأنضج بتجربتها الجسدية التي تكبر قيمتها مع الحمل والولادة: (المرأة لا تحشر في العملية الجنسية وفي الأمومة زمنا وقوة بل قيما جوهرية) المرجع السابق: 25. تدرك بوضوح أن

العالم يبزغ وينمو عبر جسدها: (كل مشروع أشرع نحوه أو أشرع فيه لابد أن أحققه من خلال جسمي) الشاروني: 74.

توصلت من خلال بحث بدأته منذ فترة إلى أن بعض النساء يتعاملن بدقة وحميمية شديدة مع الجسد، فإحداهن لا ترتدي ملابس داخلية في معظم الأحيان لأنها تريد أن يكون شعورها مرتبطا وملتصقا ومتمركزا بجهازها الجسدي الجنسي الأهم دائما، وعبر البعض عن أن ذلك الشعور الخاص يزيد من فاعليتها العاملة والمبدعة والإنتاجية أحيانا. وإحداهن مثلا تتعمد ارتداء ملابس داخلية ضيقة لأن ذلك يزودها بنشوة تدوم طوال اليوم وهو شعور تحتاجه كذلك في ظروف محددة. يصعب على هذا النمط من النساء الابتعاد أو الانفصال عن الجسد رغم علمه أنه معها منذ الصباح ولا يمكنها الفكاك منه أو عنه: (لست في حاجة إلى أن أبحث عنه لأنه معي ابتداء من أول الأمر) المرجع السابق: 49. لكنها تحتاج إلى أكثر من مجرد التواجد "داخل" وعاء الجسد أو لا تحتاج إلى الجسد كآخر، إنها تريد التوحد به، إنها تريد أن تكونه أو تصبحه أي تريده أن يكون الأنا.

والبعض الآخر من النساء يرتدي ملابس مثيرة صباحا تحت العباءة حتى تراها الأخريات في دورة مياه للسيدات أو في الأماكن المخصصة للنساء حيث يمكنها نزع العباءة. هذا النوع من النساء وخاصة الذي يعاني من الكبت يحقق هويته الجسدية من خلال رؤية الآخرين له في فرص نادرة يتم اقتناصها بشوق. فعدم وجود آخرين

معها للنظر إلى جسدها وهو يلتف بالملابس الغالية أو الغريبة أو المثيرة يعني عدم وجود قيمة للتجربة، تجربة الكشف بل إنه وجود الآخرين ومشاهدتهم لجسدها في هذه الصورة التي تجعل للتجربة قيمة، وتمنح جسدها حقيقته ووجوده: (فهي كشخص تحس بأنها محرومة، لذلك تخلع على نفسها أهمية مطلقة لأنها لا تجد أي شيء مهم متيسرا لها) دي بوفوار: 276.

ب) الفرد الزبون

وهو موضوع مهنة البغاء. وهناك مثل يقول: إنه لولا وجود الرجل – أي الزبون – لما عملت المرأة في البغاء ولما وجد البغاء أصلا، فهو عمود المهنة فلولا الطلب لما وجدت البضاعة وفنونها ومميزاتها وطرق تنافسها وأسعارها.

الزبون هو فرد ينتفع من مهنة البغاء بالحصول على الخدمة الجنسية مقابل ماله وخدماته وهداياه. وهو أيضا فرد يهين جسده بجعله مشاعا للبغي التي تتغير وتختلف صفاتها وأفعالها وحركاتها إضافة إلى فرص انتقال مرض جنسي إليه. وهذا الجسد خاص وله حرمة أشار إليها الإسلام وحث على الانتباه لها وصيانتها، ويؤكد الحديث الشريف ضرورة أن يذهب الرجل لأهله للمعاشرة فور الشعور بالانجذاب أو الميل، ولذلك اعتبر الإسلام أن المرأة التي يشم الرجل عطرها هي زانية لأنها تجبره على أن يلعب دور الموضوع الجنسي معها فتثير اهتمامه وفضوله وحواسه وشهوته

رغما عنه بمجرد مرورها، وقوله صلى الله عليه وسلم: (من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج).

ويستمتع بعض الرجال بتنوع البغي وصفاتها كما أفاد البعض، لأن لكل منهن شخصية ورائحة وذوقا ومزاجا وطبيعة مما يجعل للتنوع والاختلاف تجربة وإثارة جديدة مختلفة كل مرة.

كما أن الزبون هنا يخون زوجته إن كان متزوجا بإخفاء تعامله مع العاملات في البغاء ويعرضها لانتقال عدوى أي مرض جنسي في حال الحصول عليه.

الأخطر من هذا أن هذا الزبون يجد في التعامل مع البغايا فرصة هائلة لممارسة حركات وسلوكيات مرضية غير سوية، وتفريغ عقد نفسية وتقليعات غريبة لأن البغي تكون ملكه في وقت محدد بحسب ماله، وعليها أن تنفذ ما يأمرها به من أدوار وحركات وممارسات قد تصل أحيانا إلى أقصى درجات القذارة والإهانة التي يمكن أن يتخيلها الإنسان. وطالما أن هناك من تنفذ طلبات هذا الزبون غير السوي فلن يفكر في التخلص من نزواته وعقده هذه أو علاجها. فإن كان ساديا سيقوم بالضرب والشتم، وقالت إحداهن إن أحد الزبائن طلب منها مرة أن تمسك بوله/برازه بيدها وتمسح به نفسها، وآخر صب الزيت/الشمع الحار على جسدها، وقالت أخرى إن الزبون طردها لمجرد وجود بقعة أسفل ذراعها، وأخرى امتنع عن إعطائها حقها المتفق عليه بعد الانتهاء من حاجته وهدد بطلب

الشرطة لو صرخت أو اشتكت لأحد. والبغي في الغرب غالبا ما تكون مسلحة بدروس للدفاع عن النفس، وتحمل مسدسا أحيانا تحسبا للظروف، مما يدل على أن بعض الزبائن غير أسوياء.

2 – نتائج عامة

أولا: أسرية تربوية

يهدم البغاء مفهوم الأسرة بما تعنيه من قيم وفضائل أخلاقية تتضمن الإخلاص والصدق والمشاركة والتعاون، فذهاب أحد أطراف الأسرة للبغايا أو عمله/عملها كبغي يعني القبول باعتبار الجسد مشاعا للآخرين وليس للزوج فقط، وتشتت الاهتمام والمشاعر والوقت والجهد. كما يؤدي إلى حدوث فجوة بين الزوجين وعدم السعي إلى ردمها بسبب وجود البديل/ البغي واللجوء إليها كلما ظهرت مشكلة من أجل نسيانها وتجاهلها، وقد تتأزم الأمور ويقع الطلاق. أيضا الانشغال عن الأبناء وعدم متابعة اهتماماتهم واحتياجاتهم مما قد يؤدي بهم إلى السقوط في براثن الانحراف خاصة مع غياب القدوة الحسنة في المنزل. بقي أن نقول إن تحول أحد الزوجين في الأسرة إلى زبون للبغاء يعني التقصير المادي عن ميزانية البيت أو الأبناء وتحول المال إلى جهة أخرى.

كما أنه هدر للطاقة الجنسية التي يجب أن تصب في موقعها الشرعي السليم.

أما بالنسبة إلى الشباب، فالبغاء يستهلك الطاقة الجنسية ويهدد الصحة والعافية وفرص الزواج السليمة وعدم التفكير في الاستقرار وتأجيله، فالهدف من الزواج هو شرعية الممارسة الجنسية، قال الله تعالى: (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم): البقرة 223، وقد يؤدي إلى الخلاف والقتل أحيانا كما يحدث في جلسات "المزاج" بالتنافس على بنت معينة والقتال من أجلها خاصة إذا لم يكن هؤلاء في كامل وعيهم. كما يستسهل الشاب شرب الكحول والتعاطي أحيانا لتوفره في مثل هذه الجلسات.

وقد يصادف تعرف شاب على قريبة له في هذه الجلسات، مما يؤدي إلى خلافات عائلية قد تصل إلى القتل من أجل الشرف. وحين سألت بعض البنات عن الحذر في هذه المواقف، قلن إنهن يدخلن بالبرقع/النقاب أو العباءة حتى تتأكد أن لا أحد يعرفها من الحاضرين في الجلسة ثم تكشف عن وجهها. وقد رأى أحد الشباب مرة خطيبته التي ينوي الزواج منها في جلسة مشابهة وكانت صدمة عمره التي لم يتوقعها.

ثانيا: دينية اجتماعية حضارية

انتشار البغاء في المجتمع الإسلامي دليل على انحدار المستوى الديني والأخلاقي للشعب وانتشار الفساد فيه، كما يدل على ضعف الإرادة وغلبة هوى النفس على حكمة العقل لدى الإنسان. كما يدل على انتشار الكحول والمخدرات واستسهال

المتاجرة بالجنس واللحم البشري، والأهم من ذلك أنه يدل على تساهل القانون وعدم تطبيقه بحزم، كما يدل على تورط المسؤولين الذين يغضون البصر من أجل مصالحهم أحيانا.

أما حين ينغمس الناس في ملذاتهم الجنسية، فهذا يترتب عليه هدر الطاقة الإبداعية والانشغال عن الفكر والثقافة والعمل، وبالتالي تدني مستوى التطور والحضارة في البلاد.

من إفرازات انتشار البغاء ظهور فئة اللقطاء الذين لا تنجح البغي في إجهاضهم، فينتهي بهم الأمر عند مسجد أو مستشفى أو في حاوية قمامة.

الفصل السادس: استبيان

أعددت الاستبيان التالي حول البغاء لاستطلاع رأي الناس وتفاعلهم واشتراكهم في موضوع البغاء والبغايا. وتم توزيع أوراق الاستبيان على مائة رجل ومائة امرأة تتراوح أعمارهم بين 18 – 45 سنة.

الأسئلة:

1 – هل تعتقد أن البغاء يمثل ظاهرة في الكويت؟

2 – هل ترفض فكرة انتشار البغاء؟

3 – هل تعرف أو تتعامل مع أفراد يمارسون البغاء؟

4 – هل تعرف أفرادا يمثلون/يعتبرون زبائن لمهنة البغاء؟

5 – هل تشعر بفضول لمعرفة ما يحدث في جلسات يمارس فيها البغاء؟

6 – هل تعتقد بإمكانية تفريغ الجنس عمليا خارج الزواج؟

7 – هل سبق أن مارست الجنس مع بغي؟

8 – إن كانت الإجابة نعم، هل كان الهدف المتعة الجنسية؟

9 – هل سبق أن عملت كبغي؟

10 – إن كانت الإجابة نعم، هل كان الهدف هو المال؟

11 – هل يمكن أن تمتنع عن ممارسة الجنس مع البغايا حتى مع تناسب الظروف؟

12 – هل تحتقر البغاء كمهنة؟

13 – هل تحتقر البغي؟

الإجابات:

– في السؤال الأول، أجاب 79 رجلا بنعم من أصل 100 و95 امرأة بنعم من أصل 100.

– في السؤال الثاني، أجاب 81 رجلا بنعم و99 امرأة بنعم.

– في السؤال الثالث، أجاب 89 رجلا بنعم و19 امرأة بنعم.

– في السؤال الرابع، أجاب 85 رجلا بنعم و79 امرأة بنعم.

– في السؤال الخامس، أجاب 50 رجلا بنعم و41 امرأة بنعم.

– في السؤال السادس، أجاب 89 رجلا بنعم و25 امرأة بنعم.

– في السؤال السابع، أجاب 53 رجلا بنعم و7 امرأة بنعم.

– في السؤال الثامن، أجاب 87 رجلا بنعم و3 نساء بنعم.

– في السؤال التاسع، أجاب 6 رجال بنعم و7 نساء بنعم.

– في السؤال العاشر عشر، أجاب 3 رجال بنعم و3 نساء بنعم.

– في السؤال الحادي عشر، أجاب 35 رجلا بنعم و72 امرأة بنعم.

– في السؤال الثاني عشر، أجاب 89 رجلا بنعم و85 امرأة بنعم.

– في السؤال الثالث عشر، أجاب 37 رجلا بنعم و69 امرأة بنعم.

تحليل:

في إجابات السؤال الأول، لاحظت أن المرأة تؤكد بقوة (95 من مائة) أن البغاء ظاهرة، أي أنه منتشر بكثرة ويمارس بعلانية واضحة تجعل منه ظاهرة. كما أن المرأة هنا تقول لنا من خلال هذه النسبة العالية إنها تعاني بشدة من انتشار البغاء سواء من خلال ارتفاع معدل الطلاق أو العنوسة أو الخيانة الزوجية وغيرها من إفرازات اجتماعية تنتج عن انتشار البغاء في المجتمع. أما إجابات الرجال (79 من مائة) فتدل على موقف شبه متردد وخجل من وجود هذه الظاهرة والمشاركة فيها. فالنسبة لاشك أنها عالية وتشير إلى إدراك خطورة وحضور البغاء كظاهرة، ولكن تردد بعض الرجال في إعطائها أهمية، واكتفى بالإشارة إلى وجودها دون تأكيد علانيتها وانتشارها كظاهرة.

في السؤال الثاني رفضت النساء بشدة فكرة انتشار البغاء تأكيدا لأهمية الأسرة ودورها كزوجة وأحقيتها الجنسية والعاطفية، وأهليتها لملء هذا الدور، فلاشك أننا نستشف من النسبة العالية (99 من مائة) بعض ملامح غيرة من منافستها البغي التي تستحوذ على مال الزوج وعاطفته وحيويته وإبداعه الجنسي بينما يبقى الفتات للزوجة والأبناء. وحتى لو كانت المرأة البغي نفسها تجيب فلاشك أن دور الطاهرة العفيفة سيستهويها فتدعي أنها ترفض البغاء وإن كانت هي تمثله أصلا خاصة إذا كانت تعيش بهويتين، هوية خفية كبغي وأخرى علنية كأم أو موظفة. أما الرجل فهو الأكثر

بعدا عن المساءلة واللوم في القضية، لذلك نجده لا يرفض تماما وإنما يضع بصمة رأي في عدم موافقته على انتشار البغاء، ويترك حيزا ضئيلا لمشاركة متفاوتة للضرورة.

في السؤال الثالث، نجد محاولة النساء الابتعاد قدر الإمكان من عالم وحياة البغاء برفض معرفة من يعمل فيه (19 من مائة) باعتباره عالما قذرا مشينا ومنحطا يرفضه الدين والمجتمع والعادات والتقاليد والأخلاق. بينما لا يجد الرجال حرجا في المجاهرة بمعرفة البغايا أو التعامل معهن لأنه يقال في مجتمعنا الرجل (شايل عيبه) أي بعيد عن اللوم والمساءلة، وكل ما يحيط بالبغايا من قذارة وقبح خاص بهن ولا علاقة له به. ومن ناحية أخرى يفتخر الرجل أحيانا ويجاهر بمغامراته الجنسية لأنها تشير إلى فحولته وجاذبيته وسيولته المادية ونفوذه.

في السؤال الرابع اختلف موقف النساء (79 من مائة) فالمرأة تريد أن توضح معاناتها من وجود البغاء بالخسائر الفادحة المترتبة على انتشاره، فزوج صديقتها وابن عمها مثلا أو أبوها في فترة ما وربما زوجها أو أخوها كانوا زبائن وهكذا، فلا تجد حرجا من الإفصاح عن معرفتها بزبائن للبغاء، كما تشير النسبة إلى تأكيدها ضعف الرجال أمام المغريات وعجزهم عن حماية أسرهم وأنفسهم. أما الرجل فنجده متحفظا قليلا في الإفصاح عن معرفة زبائن للبغاء وليس حاسما (85 من مائة) خوفا من أن يقال إنه عرف هؤلاء من السهرات الحمراء وأنه لاشك يذهب ويشرب ويفعل و..إلخ.

في السؤال الخامس، أجاب من الرجال نصف العدد فقط مقرين بفضولهم عما يدور في جلسات البغاء لأنه ربما البقية يعرفون ما يحدث فيها أو لديهم خبرة وممارسة عملية، أو لأنهم يتحفظون ويخفون مشاعر الفضول خوفا من أن تلصق بهم تهمة اللهفة والشوق إلى المعرفة ومن ذلك الذهاب والمشاركة فيما يحدث فيها. وقد اعتاد الفرد في المجتمع الخليجي على مداراة مشاعره وإخفائها وتزييفها بإظهار عكسها أحيانا. أما النساء فترددن قليلا في الإفصاح عن فضولهن، كما لابد أنهن يمتلكن صورة عن هذه الليالي من خلال الإعلام التلفزيوني والمسرحي وغيره أو مما يسمعن من قصص وحكايات.

في السؤال السادس أعطى الرجل لنفسه الحق والحرية بوضوح في إنشاء علاقة جنسية خارج الزواج (89 من مائة) باعتبار أن على الزوجة تحمل عجزها أو تقصيرها كونها الملومة الوحيدة هنا، ونعود إلى القول التقليدي بأن الرجل يحمل عيبه أي أن الممارسة الجنسية لا تعيب الرجل بل على العكس تعتبر أحيانا مصدر فخر له. أما النساء فخجلن جدا وترددن واكتفين بشبه رفض لمثل هذه العلاقة (25 من مائة) لأنها تعيب المرأة الشريفة، وتعني تمردها على المجتمع ودورها الرضين الطاهر والمطيع فيه، فمن الصعب على المرأة أن تعلن موافقتها على علاقة جنسية محرمة حتى بينها وبين نفسها. ولعل من وافقن قصدن احتمال نشوء هذه العلاقة من أجل الانتقام من خيانة زوج مثلا أو لاعتبارات أخرى.

في السؤال السابع، نجد شبه تردد من الرجل بالاعتراف بممارسة الجنس مع البغايا (72 من مائة) رغم اعترافات سابقة بوجود البغاء ومعرفتهن والتعامل معهن وأحقيته في الجنس خارج الزواج، لكن ربما كان وجود كلمة ممارسة الجنس أخافت العديد منهم فكانت المواجهة صعبة. أما النساء فرفضن القضية تماما (7 من مائة) وتجاهلن حتى إمكانية التفكير فيها بسبب كل ما تحمله المسألة من مخاوف وتجاوزات وقضايا شرف وتدنيس ومخاطر اجتماعية. أما النساء السبع اللاتي أجبن بنعم فربما من أجل إثارة الفضول أو الدعابة أو لعمل تغيير ما أو لأنها الحقيقة.

في السؤال الثامن أجاب (87 من مائة) من الرجال بنعم بأن الهدف من ممارسة الجنس مع بغي هو المتعة الجنسية وهي نسبة عالية تدل على أن الرجل لا يبحث عن المتعة الجنسية في بيته ومع زوجته لأنه يريد منها ممارسة عادية روتينية، وربما لأنه لا يريد تشجيعها على استعمال الخيال والإبداع في الجنس خوفا على صورته وهيبته أمامها وحتى تبقى هناك مراتب ودرجات في المعاملة والأهمية في البيت. أما مع البغي فهو يريد الإبداع والتميز والغرابة والتجديد لأنه لا يهتم بصورته أمامها فهو يستأجرها لمدة محددة ثم سيذهب كل إلى حاله ويعود هو إلى صورته الرصينة في البيت. أما بالنسبة إلى العازب فلاشك أن الجنس له الأولوية مع البغي لأنه يفتقده ويصعب الحصول عليه. أما النساء فمازلن يخجلن من الخوض في الموضوع ويتحفظن على الإجابات (3 من مائة).

في السؤال التاسع هناك خصوصية في الطرح، ولاشك أن من عمل كبغي سيجد صعوبة شديدة في الإفصاح لما ترتبط به هذه المهنة من تحفظات وتجاوزات ورفض.

لذلك نجد النسب القليلة في الإجابة على المستويين، الرجال (6 من مائة) والنساء (7 من مائة). أضيف هنا إمكانية تفسير العمل كبغي بعدة صور، مثلا السماح باللمس من أجل خدمة بالنسبة إلى موظفة أو تقديم خدمة جسدية لا تتضمن الممارسة الجنسية الفعلية في مقابل ما، كما أنه لاشك أن هناك تفسيرات عديدة لمهنة البغاء قد طرأت على مخيلة النماذج بحسب التصوير غير الدقيق للإعلام المتنوع لها، وأستبعد أن يكون كل الذي أجاب بنعم قصد ممارسة مهنة البغي حرفيا. ثم يتابع السؤال العاشر إن كان الهدف هو المال، ونجد التشابه في الإجابة الرجالية/النسائية (3 من مائة) وأتوقع أن تكون الإجابات الثلاث من النسب في السؤال السابق، أي نصف العدد من الرجال الذين عملوا كبغي كان هدفهم المال، وثلاث من سبع نساء عملن كبغي كان هدفهن المال.

في السؤال العاشر، نجد مفارقة بالنسبة إلى الرجال، فقد كانت نسبة الإيجاب في كون المال هو السبب للممارسة الجنسية مع بغي (87)، أما كون المال سببا في العمل كبغي فثلاثة من ستة رجال فقط أجابوا بنعم. أي أن الرجل يسعى إلى جنس متحرر مختلف ومتميز مع بغي، أما حين يقوم هو بدور البغي فيكون السبب هو المال بجانب أسباب أخرى تعادل المال أهمية، مثل الانتقام من

زوج/أخ الزبونة، أي طعن أحد أقربائها الذكور في شرفه بممارسة الجنس معها، أو التزود بالشعور بالتفوق أو التميز أو الفحولة أو إشباع الغرور. وفي أحد الأمثلة كان الرجل البغي يمارس الجنس مع الزبونة في صالة المنزل وزوجها نائم في غرفة النوم والباب مقفول عليه، ولاشك في أن معايشة هذه المخاطرة والمجازفة ينتج مزيجا من المشاعر المتضاربة، يمكن أن يكون أحدها الذروة الجنسية غير العادية. أما بالنسبة إلى النساء فنجد أن للمال أهمية قليلة (أقل من نصف العدد، ثلاثة من سبعة) كسبب للعمل كبغي ويمكن أن تكون الأسباب الأخرى هي: الحاجة للحنان وللحب والعاطفة وتبادل المشاعر – وإن كانت مزيفة أو مؤقتة – التي تتضمنها الممارسة أو شغل الفراغ والشعور بالأهمية والجاذبية والنفوذ وغيرها.

في السؤال الحادي عشر، نجد الفرق بين الرجال والنساء في كبح جماح النفس والتمسك بقيم الأسرة، والتضحية من أجل حماية النفس والبيت والأبناء من التشتت والضياع والمخاطر. (35 من مائة) فقط من الرجال سيمتنع عن الجنس مع البغايا في ظل ظروف مناسبة بينما (72 من مائة) من النساء سيمتنعن.

في السؤال الثاني عشر، تواجهنا المفارقة الحقيقية في الفرق في الآراء بين احتقار البغاء كمهنة واحتقار البغي نفسه كفرد – رجلا أو امرأة – يمارس هذه المهنة، إذ إن الرجال يحتقرون بقوة مهنة البغاء (89 من مائة) وكذلك النساء (85 من مائة)، بينما (37 من مائة) من الرجال فقط يحتقرون البغي و(69 من مائة) من النساء

يحتقرن البغي. كنت أتوقع عدم التمييز بين المهنة والعامل فيها، ولكن يبدو أن رأي الشارع حاسم في مهنة البغاء كمهنة مشينة تعتمد على بيع الجنس بمقابل مادي ودون تمييز وببرودة وآلية وبلا مشاعر، بينما ينظر رجل الشارع بتعاطف أو شفقة أكثر من رأي امرأة الشارع باعتبار أن البغي مضطر أو مجبر أو محتاج إلى المال أو الجنس أو الحب أو أنه سيئ الحظ.. أو غيرها من أعذار يحاول إيجادها للبغي حتى يعطي نفسه حق التعاطف معها ومعاملتها بصورة حسنة، ثم تدريجيا امتلاك الاستعداد النفسي للتعامل معها عمليا.

الفصل السابع: البغاء المقنَّع

عرفنا معنى البغاء فيما تقدم من فصول تناولت المصطلح بالشرح والتحليل والاستعراض، لكن هناك نوع آخر غير مباشر من البغاء، أسميه البغاء المقنع ويتضمن ممارسات تحضر فيها الأسس الرئيسية لمعنى البغاء ولكن بصورة مختلفة. فالجنس يقدم لشخص يطلبه وهذا الجنس قد يكون نظريا شفهيا أو سمعيا يعتمد على الرؤية أو الاستماع أي أنه جنس لا يمارس عمليا، وقد تكون نقطة الاختلاف في المقابل كذلك في صورة خدمة ما: درجة دراسية أو ترقية في وظيفة أو غيرها، وفيما يلي بعض النماذج:

الطالبة والأستاذ

يجرؤ بعض الأساتذة على اجتياز الخط الأحمر الأخلاقي والمهني بالنظر إلى طالبته بعين شهوانية مستدرجا إياها وهو يلوّح بالدرجة والتقدير الذي ترغب فيه. ويسمح لنفسه بالذهاب بعيدا في هذه العلاقة أحيانا وتعريض حياة أو سمعة البنت للخطر من دون مبالاة، ويصل الأمر أحيانا إلى المعاشرة الجنسية بحسب التقدير المطلوب. الظاهرة متفشية في جامعة الكويت في بعض كلياتها بناء على كلام الطالبات، وللأسف لا توجد لجان لمراقبة أخلاقيات الأستاذ، كما أن البنات يتخوفن من تقديم شكوى أو الحديث عن العلاقة مع الأستاذ للجنة المراقبة مما يشجع هؤلاء الأساتذة على التمادي.

البعض – لاشك – سيقول إن البنات لا يقصرن في تشجيع الأساتذة على مثل هذه النظرة، والرد هو كيف نقارن مستوى وعي الطالبة بمستوى وعي وإدراك ومسؤولية الأستاذ الأخلاقية. كما أن البنت هنا لم تزل في طور تشكيل الشخصية وهشة الإرادة، ستنبهر بالأستاذ أولا وذلك طبيعي بل وتراهن بعض الطالبات على جعل الأستاذ ينظر إليهن ويعجب بهن، ويرغبن في درجة عالية ثانيا وبعضهن غير مؤهل أخلاقيا أو تربويا للانتباه إلى خطورة المسألة فيفعلن كل شيء من أجل رفع إنذار أو اجتياز خطورة الفصل من الجامعة. الأمر واضح، يقف خارج مكاتب بعض الأساتذة طابور طويل من الطالبات الجميلات اللاتي قضين وقتا طويلا في إتقان رسم وجوههن وتصفيف شعورهن وانتقاء ملابسهن، ولولا أن الطالبة لم تلق اهتماما وإطراء من الأستاذ لما قضت كل هذا الوقت أمام المرآة للاهتمام بمظهرها، وأغلبهن فاشلات دراسيا أو راسبات أو مفصولات. أخبرتني إحدى الطالبات أن الأستاذ قال لها معلقا على جسمها الرياضي: "لابد انك بطلة سباحة أو تلعبين رياضة معينة"، منبها إياها إلى أنه يلاحظ متانة وقوة جسمها. وآخر يعلق على لون عدستها الطبية التي ترتديها اليوم وتناسقها مع ملابسها أو أن ماكياجها حديث أو بلوزتها ضيقة. هناك مقايضة مزدوجة كل طرف فيها يحصل على ما يريد، الطالبة تعبر عن جاذبيتها وترضي غرورها أمام زميلاتها وتحصل على الدرجة المطلوبة دون جهد أو

تعب، والأستاذ يرضي رجولته وحاجته الجنسية أحيانا وينعش شبابه ويعيش مغامرة مؤقتة مع من هي في عمر بناته.

ولكن هناك علاقة مختلفة لا تحتاج فيها الطالبة إلى الدرجة لأنها متفوقة أصلا، ولكنها تحتاج إلى الحب والحنان واستعادة الثقة بالنفس. أخبرتني إحدى الطالبات المتميزات علميا أنها أحبت أستاذها الذي تصفه لي بالملاك أو المنقذ الذي سينتشلها من الظلمة إلى النور بسبب معاناتها مع أهلها لدرجة أنها منحته أغلى ما عندها، بكارتها. استغل هذا الأستاذ طالبته المنهكة نفسيا والفاقدة للأمل بالحكاية الساذجة ذاتها بأنه أيضا تعيس مع زوجته ولا يعرف طعم الهناء أو الحب. بطبيعة الحال، كانت الضحية جاهزة للسقوط في الفخ. ثم تهوّرت وقبلت الالتقاء به خارج الجامعة واستحوذ على اهتمامها ووقتها وتفكيرها، فصارت تعتذر عن المحاضرات حتى تلتقي به، وتظل تنتظره بالساعات من دون فائدة. ثم عندما ظهرت طالبة جديدة في القسم العلمي ترك القديمة دون أي اهتمام. وبعد أن ملّ الأستاذ الفاضل من لعبته التي أصبحت قديمة تركها محطمة لا تجف دمعتها، مهزوزة الشخصية فاقدة للثقة في الحب والزواج فاشلة دراسيا ساخطة على المجتمع مليئة بالمرارة، وماذا كانت حجته: "إني لا أريد أن تتعلقي بي أكثر من هذا". في هذا الموقف حصل الرجل على حاجته الجنسية ومغامرته المؤقتة، وهي على الحب والحنان الذي كانت تحتاجه، ولو كان كل ذلك مجرد أوهام سرعان ما تكشفت لها.

الأمر الآخر الأكثر خطورة هو أن بعض البنات يدخلن الجامعة في ثوب البراءة والعفوية ويكن عذراوات، ثم بفضل جهود بعض الأساتذة تتحوّل البنت بالتدريج إلى امرأة لا تهتم سوى بمظهرها وفتنتها وتهمل دروسها. وبعضهن يفقد عذريته، كما أن بعضهن خاصة المؤهلات بشكل طبيعي للانحراف بسبب ضعف الأساس الديني والأخلاقي وتوعية الأهل، سيبحثن خارج الجامعة عمن يكمل مشوار العلاقة المؤقتة الملتهبة بعد أن يملّهن الأستاذ، أي تتحوّل البنت إلى امرأة مستهترة بسبب تجربة أولى لها داخل الجامعة أو حتى تنتقم من ترك أستاذها لها.

جنس تليفوني/إلكتروني

نمط آخر من البغاء المقنع هو ما تقدمه بعض الشركات من جنس عبر الهاتف أو البريد الإلكتروني، فتضع هذه الشركات صورا وإعلانات مغرية للشباب عن أجمل الفتيات وأكثرهن إثارة وخبرة، وبمجرد الاتصال وإعطاء رقم البطاقة المصرفية تبدأ المكالمة وتعمل الموظفة/ البغي على تنفيذ طلبات الزبون، وتستطيع بالخبرة والتمرين إيصال الزبون إلى حالة كاملة من النشوة الجنسية وكأنها معه في الفراش. وبنفس الطريقة ولكن بتطور بصري ملازم للصوت نجد قنوات تجارية عبر الإنترنت تبيع الجنس المصور للشباب بمقابل مالي، فيرى الزبون ويستمتع ويمارس العادة السرية وينتشي وهو في مكانه.

جنس مصوّر

هذا النوع من البغاء المقنع مختلف لأن الضحية لا تعلم بأمر تصويرها وهي في غرفة القياس أو النادي الصحي أو الصالون، ولكن إدارة المكان قامت بترتيب إجراءات التصوير وبيع الشرائط للزبائن الذين غالبا ما يرون المادة ويستمتعون بها وبالسخرية من النساء الضحايا حتى يصادف أن يرى أحدهم واحدة من أهله في أحد الشرائط فيمتنع.

قالت فتاة إن حبيبها كان يمنعها بشدة من الذهاب إلى الصالون من أجل عمل حمام بخار مغربي أو تدليك أو نزع الشعر أو أي عمل يتطلب خلع الملابس ولم يكن يوضح السبب. ثم تشاجرا فأتى لها بشريط رأت فيه زبونات الصالون البريئات وهن ينزعن الملابس ويسلمن أجسادهن للموظفة لأحد هذه الأعمال، والموظفة تعلم لأنها تنظر إلى الكاميرا وتضحك ثم تطلب من الزبونة أن تجلس هنا وتفعل كذا و"هل هذا مريح؟" و"هل هذا يسعدك؟"، وقال لها إن الشريط يباع بخمسة وثلاثين دينارا. أما في غرف القياس، فالكاميرات المخفية والأبواب الداخلية ذات الثقوب أصبحت معروفة إلى درجة أن النساء يفضلن ارتداء القطع فوق ملابسهن أو أخذها إلى البيت وتغييرها في حال عدم تناسبها.

لاشك في أن الضحايا هن نساء يتم تصويرهن دون علمهن، لكن الإدارة التي قامت بالترتيب للتسجيل والتصوير هم أفراد

فاقدون للقيم والمسؤولية الأخلاقية، ونعتبرهم طرفا في عملية البغاء لأنهم يوفرون المادة الجنسية ويسعون للمتاجرة بها. أما الطرف الثاني فهم الزبائن الذين يروجون لهذه البضاعة من خلال شرائها والإقبال عليها. ويجد الرجل هنا متعة في النظر إلى امرأة تتعرى دون صوت مثير أو حركات جنسية لأنه يمارس التلصص والتصنت والتجسس ويزوده هذا الدور بمتعة وفوقية ذكرية تمتعه، كما أن البراءة والعفوية في النساء الضحايا وعدم علمهن تزيد من عامل الإثارة لدى المشاهدين.

الخاتمة

بدأت رحلتي مع موضوع السحاق في بريطانيا عام 1989عندما كنت أستكشف مبنى استراحة الطلبة في جامعة برمنجهام، ورأيت عدة غرف مخصصة لتجمعات مختلفة، للمسلمين والمسيحيين واليهود والشاذين من الرجال والشاذات من النساء، واستوقفتني الصورة للغرفة الأخيرة، امرأتان في وضع جنسي، وانطلقت شرارة البحث والتعطش إلى المعرفة في وعيي وخيالي. ثم حادثة الطالبة التي كانت تراقب إحدى زميلاتي وتتبعها وتكشف لها عن حبها ورغبتها فيها والتقائي بها والاستماع لها، والغوص أعمق في موضوع غريب جديد عليّ تماما.

ثم في الكويت عام 1996 حيث حدث مشهد جنسي صريح لفتاتين في دورة مياه، وانتشار الموضوع إعلاميا وفصلي من الجامعة بسببه، ووعدي لعقلي العنيد بضرورة أن أغلق الباب على هذا الموضوع ليموت إلى الأبد. ولكن اهتمام الناس من كل فئة وعمر وغزارة المواد المكتوبة والمنطوقة حول السحاق من كل صوب في الكويت والخليج وبعض الدول العربية عن طريق رسائل واتصالات جعلني أدرك اهتمام الناس بالموضوع أولا، وتعطشهم إلى الكلام عن تجاربهم وأسئلتهم حوله ثانيا. في لحظة سريالية أجد نفسي أحدق في صندوق ضخم من مواد ثرية حية نابضة بقصص وحكايات وتجارب أراد الناس أن يبثوها في وعيي بعد كتمانهم الطويل. وأتساءل أي باحث مخلص أصيل يمكن أن يتجاهل هذا

الأمر؟ عجزت عن إغلاق الباب، فالمادة أتتني فكيف أرميها أو أتجاهلها وألغي صراخ عقلي لي بأن أفعل شيئا. وبدأ مشوار الكتاب.

ثم واجهت عقبة المراجع المتوفرة فقط بالإنجليزية وغرابة المادة فيها، وعدم انسجامها مع مجتمعي وانفعالاتي حول الموضوع، وتجنيد أكبر عدد من الأصدقاء في كل مكان بالمراسلة والإنترنت لإرسال كل مادة علمية متوفرة عن السحاق. والاطلاع عليها وفرزها واستبعاد الضعيف منها ثم تحليل بعضها وتصنيفها وتبويبها وبدء كتابة البحث. وأثناء ذلك تجمعت لدي مادة موازية بل أكثر غزارة عن البغاء وذهولي بمشاركة المرأة الكويتية فيه وتوزيع اهتمامي بين القسمين، السحاق والبغاء، واكتمال الرؤية واختيار العنوان والمنهج.

الآن أتنفس الصعداء وأضع بين يدي القارئ العربي الكتاب العلمي الأول من نوعه حول السحاق والبغاء في المجتمع الخليجي. وإنني أفتخر بهذا العمل فهو نتاج جهد ست سنوات كاملة. وقد اكتمل في السنة الرابعة وتأجل ظهوره بسبب القضية التي رفعت ضد كتابي الثالث "عناكب ترثي جرحا" عام 1999 وأردت أن أنتهي من القضية بسلام ثم أصدر هذا الكتاب وقد حصلت على البراءة والحمد لله. لم أقصد تجريح وطني الكويت الغالي بعرض هاتين المشكلتين لكنني كأكاديمية لدي حس علمي بضرورة البحث والسؤال وفتح الجرح بمشرط العلم بعيدا عن الابتذال والسخرية والتجريح وهذا ما حاولت فعله، كما أتحمل مسؤولية عرض وتحليل

المشاكل اللاأخلاقية في مجتمعي كأستاذة لفلسفة الأخلاق في جامعة الكويت. لقد جمعت كل معلومة متوفرة عن موضوع السحاق، وأعتبر الكتاب الخاص به مرجعا حول السحاق في الوطن العربي. وأتمنى من القارئ العربي والخليجي والكويتي خاصة أن يتأنى ويتمهل ويقرأ بنية حسنة ولا يفترض السوء بناء على الصورة المشوهة إعلاميا لي وللكتاب، وأتمنى منه التواصل وليس رفع الدعاوى.

إن هذا البحث في رأيي يفتح بوابة جديدة تشير بعناية إلى المسؤولية الباحث والأكاديمي ودوره الحقيقي الذي يتحقق ويكتمل في الخارج – المجتمع وليس في مكتبه فقط. عليه تحديد دوره العلمي الحي والنابض بتطبيق فكره وعلمه على المجتمع وقضاياه وسلبياته وعدم الاكتفاء بالدور التدريسي المكتبي. وعلى الباحثين والأكاديميين الاتحاد على الطريق الشائك الطويل ضد الجهل والفساد.

المراجع

أولا: المراجع العربية

1 – عبد القادر، د. أحمد عبد الباسط، ظاهرة انتشار البغاء في الكويت، الأمانة العامة لمجلس الوزراء، إدارة البحوث الاجتماعية والجنائية، الكويت، 1983.

2 – أوغسطين، مدينة الله، مطبعة جامعة هارفارد، 1966.

3 – مروان محمد الشعار، العلاقات الجنسية في الإسلام، دار النفائس، بيروت، الطبعة الأولى، 1990.

4 – نظام الدين النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفراقن، مكتبة مصطفى البابلي الحلبي، مصر، ج 7.

5 – الموسوعة الفقهية، الجزء الثاني عشر (تشبيه ـ تعليل)، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ذات السلاسل، الكويت، 1988.

6 – معاجم: مختار الصحاح، والمنجد.

7 – محمد الحمد، الجريمة الخلقية، دار ابن خزيمة، الرياض، ط 2، 1994.

8 – هايت، شير.، النساء والحب، دار المدى، سوريا، 1997.

9 – مونتسكيو، أفكار ونبذ غير منشورة.

10 – شاروني، ج.، فكرة الجسد في الفلسفة الوجودية، ط 2، 1984.

11 – تفسير الجلالين، الطبعة الأولى، 1987.

12 – جعفر، د. على، تاريخ القانون والفقه الإسلامي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1966.

13 – الألباني، محمد ناصر الدين، تعليقات على الروضة الندية، المجلد الثالث، الطبعة الأولى، دار ابن عفان للنشر، 1999.

14 – على نفس الشواذ، شلدون كاشدان، ترجمة د. أحمد عبد العزيز سلامة، دار الشروق، ط 2، 1984.

15 – مرسي، دكمال إبراهيم، العلاقة الزوجية والصحة النفسية في الإسلام وعلم النفس، دار القلم، الكويت، ط 2، 1995.

16 – الإستانبولي، محمود مهدي، تحفة العروس، المكتب الإسلامي، بيروت، ط 6، 1986.

17 – القباني، جبري، مئة سؤال حول الجنس، دار القلم، بيروت، 1979.

18 – الساعاتي، سامية، الجريمة والمجتمع، دار النهضة العربية، بيروت، 1983.

19 – خياط، سلام، البغاء عبر العصور، رياض الريس، لندن، 1992.

20 – قطب، محمد، الكبائر، دار المسيرة، بيروت، 1987.

21 – غنام، د. غنام محمد، جرائم العرض والحياء والزنى في القانون الكويتي، منشورات ذات السلاسل، الكويت، 1995.

22 – باحارث، عدنان حسن، الانحرافات الجنسية عند الأطفال، دار المجتمع، جدة – السعودية، ط 1، 1993.

23 – الحمد، محمد بن إبراهيم، الجريمة الخلقية (عمل قوم لوط)، دار ابن خزيمة، الرياض، ط 1، 1994.

24 – طهماز، عبد الحميد، الزواج في الإسلام، شركة الشعاع للنشر، الكويت، ط 1، 1987.

25 – عليوه، علي، دراسة عن تفشي الدعارة في الدول العربية، مجلة اليقظة، العدد 165، لسنة 15، فبراير 2000.

26 – محمود، خالد علي، دراسة عن المواقع الإباحية على شبكة الإنترنت وأثرها على الفرد والمجتمع، مجلة الحياة، العدد 267، السنة 19، 2001.

27 – سلام، أحمد، تفشي الدعارة في الدول النامية، دار النهضة العربية، 1998، القاهرة.

28 – جمعة، على، القضاء على المشاهد الإباحية، دار العلم، القاهرة، 2000.

29 – مصطفى، د. محمد على، الإباحية الخلقية والخطر من الدعارة، دار الشروق، القاهرة، 1999.

30 – مرزوق، مصطفى، سيطرة الأمن على شبكات الدعارة، دار العروبة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1995.

المراجع الأجنبية:

– Danto, Arthur C., The Body/Body Problem, University of California Press, 1990, England.

– Singer, Peter (Editor), A Companion of Ethics, Blackwell. England Publishers, 1991.

– Sterba, James (Editor), Big Questions, Blackwell, Ethics publishers, 1998, England.

– Rothblum,E. (Editor), Classics in Lesbian Studies, Hassington park press, New york, 1997.

– Internet Sites:
www.springeronline.com
www.alryad.com
www.alkhima.com
www.ahdath.com
www.islamonline.com
www.almoughtarib.com
www.alwatanvoice.com

الباحثة:

مواليد الكويت 1964

قصص:

1 – امرأة تتزوج البحر، الكويت 1989

2 – بلا وجه، طبعة1 بريطانيا 1992

طبعة 2 الكويت، دار عالية للنشر 2002

شعر:

1 – عناكب، الكويت 1993

مُنِع عام 2000 بعد رفع دعوى ضده، ثم أجيز بعد كسب الدعوى، وصدر في طبعته الثانية 2002 الكويت، دار عالية للنشر.

2 – الذخيرة، طبعة1 الكويت 1995

طبعة 2 سوريا دار المدى 2001

طبعة 2 الكويت دار عالية 2002 إنجليزي/عربي

3 – نهج الوردة، ط1 سوريا دار المدى 1997

طبعة 2 الكويت دار عالية للنشر 2002 عربي

4 – أحبك لا أحبك، الكويت، دار عالية للنشر 2002 إنجليزي/عربي

5 – سأغلق هذا الباب خلفي (عربي ومترجم) 2005 أميركا Ethicslab LLC.

دراسات:

1 – كلام الجسد – دراسة أخلاقية، الكويت دار عالية للنشر2002 مُنع من التداول في دولة الكويت عام 2002.
طبعة 2، بعنوان: السحاق والبغاء في الشريعة والفلسفة، 2005 أميركا Ethics lab, LLC.

نص:

1 – بورتريه غربة، الكويت، دار عالية للنشر 2001

جوائز:

1 – جائزة مفكري القرن الحادي والعشرين، أميركا 2004

2 – جائزة السلام، أميركا، 2005

3 – جائزة التخصص (فلسفة الأخلاق)، أميركا 2005